

السيد هادي المدرسي

عاشوراء

دار ومكتبة الهلال

كتاب عاشوراء

تأليف :
السيد هادي المدرسي

دار ومكتبة الهلال
بيروت

حقوق هذه الطبعة محفوظة
ومسجلة للناسر
الطبعة الأولى
١٩٨٥

دار ومكبة الهلال

بيروت - حارة حريك - شارع المقداد
ص.ب.: ١٥/٥٠٠٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ❶

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❷ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

❸ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ❹ إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ❺ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

❻ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ❼

مقدمة

عاشوراء، موعد للانتفاضة ضد الجبت داخل النفس، كما هو موسم للنزال مع الطاغوت في سوح الجهاد..

والحسين (ع) شمعة تلتف حولها الفراشات الباحثة عن النور، كما هو رمح طويل، بطول التاريخ كله، تخشاه خفافيش الليل، وحكام الجور..
و كربلاء شهادة ادانة لكل ارض، لم تتطهر بعد بدماء الشهداء من اجل دحض الباطل، واحياء الحق..

و كتاب عاشوراء ليس كتاب الماضي بل هو كتاب المستقبل واي شعب يستلهم من روح التصدي والتحدي وبسالة المقاومة والمناصرة، وشجاعة الجهاد والفداء.. هو شعب مكتوب في جبينه الانتصار!

اننا امام حادثة عاشوراء بمناسباتها وبسالاتها وكل تفاصيلها، لسنا امام حدث تاريخي، بل امام مشاعل ترش النور على طريق التحرير من ظلمات الجهل، والتخلف والظلم والتعاس..

ومن هنا لا يمر عام الا ويتجدد الحسين-ع- في صورة شعلة من نار تحرق جفون ظالم هنا و طاغوت هناك حتى كأن «كل يوم عاشوراء وكل ارض كربلاء» و كل ثائر من اجل الله والحق والحرية حسين، وكل ظالم يزيد، وكل امرأة لسانة الثائرين زينب، و كل شاب يخوض الجهاد قاسم ووهب، وكل شيخ طاعن في السن يؤيد المؤمنين حبيب وكل قاضي يغطي على جرائم الحاكمين شريح، وكل مأمور ينفذ اوامر الظالم شمر وعمر بن سعد..

ان عاشوراء لا تزال تملك الكثير من الكلام الذي نقوله والكثير من الحكايات التي تروها، وهي بذلك مدرسة تخرج رهبانا في الليل و فرساناً في النهار، متنمرين في ذات الله، لا يخافون من اجل الله لومة لائم..

فلنعد الى عاشوراء.. نتعلمز عليها، ونتعلم منها كيف نموت، فنعرف بعد ذلك كيف نعيش..؟ لان من لا يختار طريقة موته، لا يعرف طريقة حياته

وهذا الكتاب، هو عبارة عن وضع «علامة حمراء» في طريق التعرف على ثورة الشهيد الذي هز التاريخ كله، ومحاولة متواضعة من أجل ان نعرف كيف كان يفعل الحسين(ع) واصحابه الكرام لو كانوا اليوم معنا، ويواجهون ما نواجهه.. وكل املنا أن يطل علينا الحسين(ع) واصحابه، من عليائهم ليطلبوا لنا التوفيق من الله تعالى ان نكون نماذج — ولو مصغرة — عنهم..

والله من وراء القصد..

هادي المدرسي

القسم الاول

دروس عاشوراء

الفصل الأول

الامام الحسين
ولادة جديدة للأمة ...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا

(صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ)

ثلاث معارك كبرى خاضها الاسلام في تاريخه، و كان لكل معركة بطلها، كما كانت لكل معركة ظروفها السياسية و آثارها الاجتماعية...

فالمعركة الاولى. كانت مع الكفر، و كان بطلها النبي محمد(ص)، إذ واجه النبي(ص): الكافرين و الملحدين الذين كانوا يعيدون عن رسالة الله، فكروا و ايماناً و عقيدة و سلوكاً، و كانت جبهة الكفر واضحة و صريحة، كما كانت جبهة الايمان واضحة و صريحة ايضا، و قد وقعت بين الجبهتين معارك و حروب كان الاسلام فيها كله يواجه الكفر كله — حسب تعبير الرسول(ص).

و المعركة الثانية هي معركة الاسلام مع التحريف، و مع الذين حلوا شعارات الاسلام نفسه، ولكن بعد تحريفها و تطبيقها على من لم تنزل بحقه... و كان بطل هذه المعركة هو الامام علي(ع). فلقد واجه الامام علي — ع — من صارعوه للوصول الى مركز قيادة المسلمين و هم يعيدون عن الاسلام.

ولقد ظهر هذا التحريف جلياً، حينما قتل عمار بن ياسر، و تذكر المسلمون كلمة الرسول بحقة «تقتلك الفئة الباغية». و هنا اخترع العدو تأويلاً غريباً لهذا الحديث الثابت، حينما قالوا: «ان الذي قتله هو الذي اخرجته — اي الامام علي —» ثم رفعوا المصاحف على الرماح مطالبين بالعمل به في مواجهة اول المسلمين ايماناً و اقدمهم في السجود لله، و اقواهم في قتال المشركين.

اما المعركة الثالثة، فهي معركة الاسلام مع التزييف، و كان بطلها الامام الحسين(ع).

فلقد واجه الامام الحسين(ع) وضعاً استثنائياً متردياً في الامة حيث انقلب كل شيء رأساً على عقب، فاذا بالمنابر قد تحولت من مسائل للارشاد و الهداية، الى وسائل للسب و الشتم و اللعن. و اذا بالسيوف التي شهرها الاسلام في وجه الكفر

انقلبت لمواجهة اهل البيت واذا بالزكاة التي هي من اجل تطهير النفوس وتركيتها تصرف في شراء الضائر.

كما ان الحاكمين الذين اخذت البيعة لهم عن طريق الاكراه، او عن طريق الترغيب، كانوا يحكمون باسم رسول الله، ومن هنا فان معركة الامام الحسين(ع) تحظي بالاهمية القصوى، تماما كما ان لمعركة الامام علي، ومعركة النبي اهميتها القصوى ايضا.

ذلك لان الانتصار النهائي للدين، ليس في ان يصبح باسمه حاكمون على وجه الارض، وانما الانتصار الحقيقي، ان تكون الحاكمية الفعلية للقيم، والمبادئ التي ينادي بها الدين فما دامت المبادئ والقيم تتعرض للتحريف والتزييف، فلا قيمة للشعارات، ولا قيمة للاطارات.

والاسلام يجعل المقياس النهائي، هو الايمان والعمل الصالح، وليس مجرد الشعار.

ومن هنا فان انتصاره النهائي، هو انتصار قيمه، ومبادئه، ومحتواه، وهذا ما كان مفقودا في الظروف التي ثار فيها الامام الحسين(ع)...
ولأهمية معركة الامام علي، ومعركة الامام الحسين، عليها السلام، نجد ان رسول الله(ص) كثيرا ما كان يقول: «يا علي تقاتل على التأويل، كما قاتلت على التنزيل».

وكان يقول بحق الامام الحسين(ع) (حسين مني وانا من حسين) (أحب الله من احب حسينا). (الحسين مصباح الهدى، وسفينة النجاة). (الحسن والحسين، ريحانتاي من الدنيا)...

ان النبي الذي عصمه الله من الخطاء، لا بالعواطف، ولا يقول المديح في الامام الحسين لانه جَدَّ يحب حفيده! كلا!

وليس صحيحا ان قول النبي(حسين مني وانا من حسين) يعني انه من النبي جسدا... انما يقصد ان مبادئه هي مبادئ الامام الحسين وانا المبادئ التي سيثور من اجلها وبها الحسين هي مبادئ رسول الله(ص).

وهنا يأتي التساؤل، ماهو موقع ثورة الامام، في التاريخ الاسلامي؟ ولماذا

نحبي ذكرى ثورته ونعتبرها معركتنا جميعاً؟؟

والجواب: ان الامام الحسين تجرد لله، وفي سبيله، وتنازل عن كل شيء في سبيل هذه الرسالة، التي حملها على كتفه الكريم وقاتل من اجلها وقتل في النهاية ايضاً...

ولذلك قيل «ان الاسلام محمدي الوجود وحسيني البقاء»...
فكان الامام الحسين(ع) مقروناً بالرسالة، والرسالة مقرونة بالامام...
وهكذا الذين يذوبون في رسالتهم، وفي مبادئهم سيكون لهم اهمية المبادئ، وستكون لهم قيمة الرسالة ذاتها.
ان الحسين(ع) كجسد قتل قبل اكثر من الف عام، ولكنه كمبدأ، و كقضية، و كرسالة، موجود في كل عصر، وفي كل زمان.
و ثورته لاشك هي ثورة الانسان، كما اراده الله، و ثورة الاسلام كما انزله الله.

فحينما يكون الانسان عاملاً في سبيل المبدأ، و حاملاً للراية، سيتحول الى قضية، و رسالة، لانه في الواقع يتحول من جسد الى مرآة تملأ الافق وتعكس الصالح، وتميزه عن الصالح.

وبالنسبة اليينا اليوم.. نحن نقيس الرجال بالمبادئ التي قاتل من اجلها الحسين، فكلما كان الرجل اقرب من حيث الصفات الى الامام الحسين(ع)، اعتبرناه رائداً، و كلما كان قريباً الى عدوه، اعتبرناه عدواً. و عن طريق المقارنة بينه، و بين الآخرين نحكم على بعض الرجال بالموت، و على رجال آخرين بالسقوط.
فما هي دروس حياة الامام؟..

ولد الامام الحسين(ع) و كانت لولادته قصة، و لكلام النبي مع الحسين ايضاً قصة لا مجال لذكرها هنا. الا ان ما هو ظروفي لأن نعرفه ان رسول الله — منذ البداية — كان يريد الحسين لقضية هامة في التاريخ، و كذلك الامام علي و فاطمة عليها السلام، فعلى الرغم من ان الامام الحسن، و الامام الحسين من قادة جيوش الامام علي — سلام الله عليه — الا ان الامام كان حريصاً جداً على حياتهما... حتى قيل لمحمد بن الحنفية — و هو احد ابناء الامام علي من غير فاطمة —: كيف يدفع بك علي الى القتال في وسط

المعارك ، بينما يقف الحسن والحسين معه؟.

فاجاب: «انا يده، وهما عيناه، وباليدي يدفع الانسان عن عينه الأذى القذى». وهكذا كان النبي والامام على يريد ان للحسين دوراً كبيراً في التاريخ.

* * *

كانت معركة الحسين مع الزيف، معركة كبرى في تاريخ الاسلام، وبهذه المعركة تحدد مصير الاسلام كله، وخرج من ايدي الحاكمين، الذين كانوا يريدون التلاعب به، وتحويله الى دين كالمسيحية واليهودية في وقتنا الحاضر، يسيطر عليه اناس من امثال البابا.

اولئك الحاكمون كانوا يريدون الاسلام الذي يحفظ لهم سلطاتهم... كانوا يريدونه اسلاما يدور كيفما يدور الوضع السياسي، ويتغير حسب مزاج الحاكم والامير. هذا الاسلام الرسمي، تستخدمه السلطات لتجميل صورتها، وللتغطية عن سوءاتها. كانوا يريدونه اسلام الحفلات والاعياد والمؤتمرات...

وهذا الاسلام الرسمي هو الذي واجهه الامام الحسين. و كان الكثيرون من الذين انخدعوا به يقولون «الحمد لله... مادامت مساجدنا عامرة، ومادام الحج حراً، يستطيع كل مسلم ان يطوف حول الكعبة فيه، ومادامت الدولة تتحدث باسم الاسلام، مادام كل ذلك قائماً، فان الاسلام بخير»!.

هكذا كانت نظرة الكثير من الناس في زمن الامام الحسين...

الان ان الامام الحسين(ع) كانت له وجهة نظر اخرى، ولقد ظهرت وجهة نظره هذه في كلماته المباركة حينما قال... «ايها الناس اني سمعت رسول الله يقول: من رأى منكم سلطانا جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً بيعته، يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل او قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله». او قوله...

«والله لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد».

او قوله «إن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله...»

او قوله... «اني لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برماً»...

أو قوله «الا وان هؤلاء قد اظهروا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، واتخذوا مال الله دولا، وعباده خولا، وانا احق من غير»...

أو قوله «الا واني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا ظلما ولا مفسدا، وانما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي. اريد ان امر بالمعروف، وانهى عن المنكر، فمن قبلني بقبول الحق، فالله اولى بالحق، ومن رد عليّ هذا، اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم الظالمين».

هذه الكلمات تعبر عن وجهة نظر الامام الحسين، فهي مواجهة الاسلام الرسمي المزيف. الاسلام الذي يشبه «لعب الاطفال» التي لها كل ملامح الحقيقة، من دون ان ينتفع بها الانسان، كما ينتفع بالحقيقة...

فلرب سيارة صغيرة من البلاستيك، تحمل كل ملامح السيارة الكبيرة. ولرب صورة طفل تحمل ملامح الطفل الحقيقي، ولكن لاروح في هذا الهيكل. وهكذا الاسلام اليوم في كثير من البلاد، بدون روح... وهكذا كان الاسلام الذي واجه الامام الحسين(ع).

و دائما كان الحاكمون يريدون اسلاما على شاكلتهم. وترى الواحد منهم يصلي بالناس صلاة الجمعة وفي الليل يترامي في احضان الغانيات. ويحيي ذكرى مناسبات الاسلام، وله حفلات وليال حمراء.

الا نرى ان امثال هؤلاء الحكام — اصحاب الاسلام الرسمي — يسجلون اليوم — بأسمهم في النهار — بستانا هنا، وقصراً هناك، وشقة في هذا الفندق او ذاك بينما هنالك العشرات من الالوف من المسلمين يموتون من الجوع بين ايديهم؟ او انه يبني مسجداً هنا، ويتبرع لجمعية إسلامية هناك، بينما سجنونه مملئة بخيرة المجاهدين، في سبيل الله.

هذا الاسلام واجهه الامام الحسين(ع)،... وقد اتهم الامام بالكفر، والمروق عن الدين، والخروج عن رسالة النبي(ص).

و لقد سمح الامام لنفسه ان يقاتل من يقف مع هذا الاسلام المزيف لأن من يقف معه هو اضرمن الكافر...

فالكافر صريح في كفره، ولكن المنافق يستطيع ان يضر الدين والمسلمين،

من دون ان يستطيعوا دفعه. فهو يلبس مسوح العباد و الزهاد، ولكن داخله يضح
بالحق على الاسلام...

و الدروس التي نستخلصها من حياة الامام حسين هي كالتالي...
اولاً: لا يجوز ان ننخدع بالمظاهر، بل لابد من تقييم اي شيء بحقيقته
لامظهره.

اننا اليوم نعرف جيداً ما هو شكل الاسلام الحاكم.
فالكل يعرف ان الكلمات التي تقال في مدح الاسلام من مثل السلطات،
انما هي نابعة من الخوف من الجماهير، وليس اكثر من ذلك، ولا مانع لدى هؤلاء
الحاكمين على البلاد الاسلامية، ان يعلنوا الكفر الصريح، و ان يظهروا في افلام
وهم عراة، يمارسون الهر و الدعارة، ان كانوا آمنين من غضب الشعب...
الا انهم يتسترون بستار الاسلام، بعد ان حولوا نظمه السياسية الى خيمة
مضروبة الاطناب ليمارسوا تحتها كل ما يريدون، من الموبقات، و اي معاصي اكبر
من المعاصي التي يرتكبونها؟!

و اي معاصي اكبر من المعاصي التي تحدث عنها الامام الحسين (ع): «الا
وان هؤلاء قد تركوا طاعة الرحمن، و اطاعوا الشيطان و اتخذوا مال الله دولا، و عباده
خولا»...؟

هذا المال — الذي هو الله — يدور في قنوات من جيب هذا الحاكم الى جيب
ذلك الوزير، بدون ان ينزلق منه شيء الى يد الفقراء و المساكين، و كم من بناية
تولد في كل يوم، للمتزلفين، الذين هم على قرابة مع ذلك الحاكم، او ذلك الامير،
وترى الحاكم يملك اسواقا، و ابنيته و شوارع و بنايات و اخوه يملك بساتين، و زوجته
تملك فنادق و قلل و ما شابه ذلك... و كل الشعب يعاني من الجوع.

و اين القيت ببصرك، رأيت بناية، لا يحتاج لان تسال: لمن هذه: انها لا
تخرج عن كونها للامير و لآخيه، او لابنه او لصاحبه، او لمن باع نفسه للشيطان،
وهكذا فان المال «دولة» بينهم و هم يحتكرون كل شيء من المال الى السياسة
و الاقتصاد، و الصحافة، و التجارة...

هؤلاء الحكام يريدون ليس احتكار المال وحده، بل الكلمة ايضا فكل شيء

يجب ان يكون لهم ، فهم الذين يصدرون القانون، لا حق لأحد في ذلك .

هذا الدرس العظيم، نستلهمه من حياة الامام الحسين (ع) ، فلا يجوز أن ننخدع بالمظاهر ، ونحن نعرف ماذا نختبئ وراءها...
ثانيا: وجوب مقاومة الظلم، حتى مع العلم بأن لا أمل في النصر من هذه المقاومة.

فالانسان قد يكون واثقا من النصر فيقدم على المجابهة مع الباطل وهذه معركة التجار، لامعركة الثوار، فالتاجر حينما يكون واثقا من نفسه، يقدم على البيع والشراء، واذالم يكن واثقا لايقدم.

فأن تخوض المعركة وانت لست واثقا من النصر، او انك واثق من الهزيمة هذه هي المقاومة المبدئية التي يعلمناها تاريخ الثورة الحسينية، لان مجرد المقاومة نصر. فزرع القلق في نفوس الظالمين واجب رسالي، فقد اخذ الله من العلماء ان لايقاروا على كظة ظالم، ولاسغب مظلوم، كما يقول الامام علي عليه السلام...
ثالثا: ان الانتصار لايعني الحصول على الكرسي، والمشاركة في الحكم، فالانتصار قد يكون بالموت، وبالشهادة...

ليس الامام الحسين اليوم منتصرا؟ وليس كل واحد منا يريد التقرب اليه، والتسك به؟

الحسين لم ينتصر على يزيد بالحصول على الكرسي، وانما انتصر عليه بالدم وبالشهادة.

ان الانتصار بالشهادة هو مجد ذاته اغلى انواع الانتصار، لان الشهادة وسيلة للنصر «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون»...

رابعا: ان الامام الحسين علمنا ان المبادئ فوق كل الاعتبارات...
كان عمره ثلاثا وستين عاما، وكان حوله شباب في عمر الزهور و اخرون شيوخ من خيرة المؤمنين على وجه الارض، من امثال العباس، و حبيب بن مظاهر، وعلي الاكبر، و زهير بن القين، و القاسم بن الحسن...

ولم يقل الامام نحن نريد الحفاظ على «الكوادر» و بالتالي لاداعي للتضحية بهؤلاء في ساحة المعركة. ولم يقل انني اريد الاحتفاظ بهم، وهو الذي وصفهم بقوله: «الا و اني لا ارى اصحابا خيرا، ولا ابر، ولا اوفى من اصحابي»، هؤلاء ضحى

بهم الامام الحسين، في معركة استغرقت نصف نهار...
وربما يقول بعض الباحثين عن النصر المادي: لماذا يفقد الانسان كل ما
بناه، خلال ثلاث وستين عاما، في نصف نهار؟!
نعم... ان تفقد كل شي لكي تربح المبادئ، ولكي تبقى القيم، ذلك هو
الربح الاكبر عند الله تعالى.
الم يقل علي الاكبر لأبيه حينما سمعه «يسترجع»:
—: يا ابيه! اولسنا على الحق؟
قال —: بلى، والذي بيده ارواح العباد...
قال: اذن لانبالي، اوقعنا على الموت او وقع الموت علينا...».
هذه هي بعض دروس تاريخ الامام الحسين(ع)، وهذا هو موقعه في
التاريخ...

الفصل الثاني

الامام الحسين
وارث هابيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا

(صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ)

منذ أن قتل قابيل هابيل، انقسم الناس الى قسمين: قسم المقتولين، وقسم
القتلة!

واصبحت الحياة جبهتين: جبهة الحق، وجبهة الباطل.

والصراع بين هاتين الجبهتين لانهائية له، الا بانتهاء الحياة والانسان من على هذه
الارض.

لقد اقدم قابيل على قتل هابيل لسبب واحد وهو: ان هابيل رفض منطق القوة
والعنف اللامشروع، الذي لا يمت الى الحق بصلة.

وما قتل قابيل لهابيل الا لخنق صوت الحق، لان هابيل كان يتمتع بكفاءات
معينة، تبوئه لان يكون وريث آدم، وخليفته من بعده ولم تكن هذه الكفاءات متوفرة
في قابيل.

من هنا فان هابيل كان هو الاحق بقيادة مسيرة الحياة في تلك العائلة الصغيرة
آنذاك، ولكن قابيل — شأنه شأن ورثته من الطغاة —، لم يكن يتمتع بكفاءة معينة، ولم
يكن مخلصا، ولذلك لم يكن يستحق أن يكون وريث آدم، ولم يكن يمتلك حيلة سوى
استعماله العنف لقتل صوت الحق، وكان يظن أنه بذلك يقضي على هابيل، الذي
كان ينافسه، وهو على حق.

قال تعالى:

«واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر».

لماذا تقبل الله قربان هابيل ورفض قربان قابيل...؟

— : لأن هابيل كان اقرب الى الله، واكثر ارتباطا به وعبادة له، ولم يكن يريد التسلسط، ولم يكن من دعائه، وانما كان يمتلك منطق الأمانة، ولذلك تقبل الله منه.

وحينما لم يتقبل الله من قابيل قربانه، قام هذا الأخير بمهاجمة هابيل، وقال له مهددا، كما يقول كل الطغاة:

«لا قتلنك»!

قال هابيل: «انما يتقبل الله من المتقين».

وهكذا...

فليس لأي انسان الولاية على اي انسان آخر، وانما الولاية لله، تبارك وتعالى، وهو الذي يتقبل، وهو الذي يعين حسب المقاييس، وحسب القيم.

فن يقود الناس؟ ومن يحكمهم؟ هذا أمر لا يبت فيه الانسان ولا يبت فيه موقف العنف ولا يحق لاي حاكم ان يفرض نفسه حاكما على الشعب ومنطقه الوحيد هو انه يملك السلاح وليستطيع ان يستعمله.

ولهذا فقد راح هابيل يقول لقابيل:

«لئن بسطت يدك اليّ لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك، اني اخاف الله رب العالمين، اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين».

ولكن لم تكن لتؤثر هذه الكلمات في قلب حجب بالشهوات...

«فطوعت له نفسه قتل اخيه»...

وهكذا تفعل شهوة التسلسط، والرغبة في التحكم، والعشق للكرسي، و التشبث بالسيادة على رقاب الناس، وتلك هي التي دفعت قابيل لان يقدم على جريمة قتل الحق الذي تمثل في هابيل.

ان الطغاة دوما، لا يطبقون سماع كلمة الحق، لان كلمة الحق ثقيلة عليهم، كما ان السارق يهرب من كلمة (سارق) والكذاب لا يمكن ان يرضى بكلمة «الكذاب»، لأن الظالم والغاصب والمعتدي يعرف نفسه جيدا وبمجرد ان يذكر الناس حقيقته، يستحوذ الرعب عليه فيخشى الناس، ولا يجد بدا من خنق اصواتهم فيقتلهم. ان الطاغوت لا يجد أمامه الا وسيلة واحدة للاستمرار في الحكم وهي: وسيلة اسكات صوت الحق، في شخص من ينطق بكلمة الحق.

و حينما قتل هابيل، اراد قابيل ان يوارى جثمانه، حتي يطمس اثر جرمته الشنعاء ولكنه لم يتوصل الى حيلة لذلك.

«فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يوارى سوثة اخيه، قال يا ويليتي اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاوارى سوثة اخي... فاصبح من النادمين».

اننا الآن امام موقفين: موقف هابيل — الحق، وموقف قابيل — الباطل، الذي توسل بالعنف كوسيلة لاختاد صوت الحق متمثلا في شخص هابيل.

و من بعد تلك الحادثة انقسمت الحياة الى قسمين: قسم يقف فيه «القابليون» شاهرين سيوفهم في وجوه الناس، وقسم، آخريقف فيه «الهابيليون» وهم يحملون على اكتفاهم مبادئ الحق والخير والحرية.

واذا كان «الغراب» هو الذي قام بهداية قابيل الى طريق «التغطية» على جرمته، فان القابليين اليوم يتوسلون بالغرابان!

وقد تتساءل ما هي غرابان الطغاة اليوم؟

والجواب/ هم تجار الكلمة المناقفة، وعواظ السلاطين، وعلماء البلاط، وائمة الجور، وقضاة الظلم، الذين يرمون على جرائم الطاغوت ركاما من كلمات المديح، و تصاريح الموافقة ليغضوا بها سوءاتهم.

وهكذا فان الحياة في كل زمان لها صورة واحدة متكررة وهي: هابيل من جهة... وقابيل من جهة وغراب، أسود، ينتظر الجريمة، ليغطي عليها، من جهة ثالثة!

فكل من يقف مع الحق، ويدافع عن الناس، والمحرومين، سواء كان ذلك في السابق، أو الآن، او غداً فهو من ورثة هابيل.

وان كل من يقف في جبهة الباطل، ويناصر الظلم، فهو وارث من ورثة

قابيل...

اما ورثة الغربان، فهم صحفيو الطاغوت، وأجهزة اعلامه.
ولأن الطغاة لا يستعطيون العيش الآ مع الغربان، فان ندمائهم دائماً هؤلاء
الذليلون، المداحون الكذابون... الذين امرنا رسول الله (ص) ان نقاطعهم وقال: حثوا في
وجوه المداحين التراب...!

* * *

قال الله تعالى:

«قل اعوذ برب الناس، ملك الناس، اله الناس، من شر الوسواس الخناس، الذي
يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس».
فيؤكد الله — عز وجل — انه هو المالك، وصاحب الملك والسلطان على
الناس، فمن فرض نفسه ملكا او اميرا او سلطاناً من دون حق فهو ينازع الله في ملكه. و
من امتلك شيئاً بلا استحقاق فهو ينازع الله ايضاً. وكذلك الأمر بالنسبة الى من يشرع
للناس القوانين التي ما انزل بها من سلطان.
اما من يغطي على هؤلاء، فهو الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور
الناس، من الجنة والناس.

* * *

«من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس، او فساد في
الارض فكأنما قتل الناس جميعاً».
ان الباطل في قضية قابيل وهابيل، توسل بالعنف، وقتل صاحب الحق، لذا
كتب الله ان البشرية «وحدة» واحدة، فمن تمدي علم انسان واحد فسجنه، فكأنما
سجن الناس جميعاً. ومن تعرض لانسان فعذب به، فكأنه عذب الناس جميعاً. ومن قتل
انساناً واحداً، فكأنما قتل الناس جميعاً.
«ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعاً، ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات ثم ان
كثيراً منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون».

* * *

اننا حينما نقف امام ضريح الامام الحسين (ع) نقول في زيارته عليه السلام:
«السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله»... لماذا؟

لان الامام الحسين في كربلاء وقف موقفاً «هابيلياً»، و كان الشمر، و عمر ابن سعد، و يزيد ابن معاوية، يقفون موقفاً «قابيلياً».

لذلك فان الامام الحسين وارث هابيل. «و هابيل هو الوريث الشرعي لآدم و لرسالته» و ان كل مهموم يعيش في السجون، لانه قال كلمة الحق، و كل من قتل، لأنه قال كلمة الحق. كل هؤلاء هم ورثة هابيل. و ان ظالمهم و قاتليهم، و ساجنيهم، ورثة قابيل.

* * *

في كل يوم هنالك معركة بين قابيل و هابيل، بين الحق و الباطل. لذلك فان «كل يوم عاشوراء و كل ارض كربلاء».

فمن يقف في جبهة الحق يقف موقفاً هابيلياً، و من يقف في جبهة الباطل يقف موقفاً قابيلياً و يتكرر ذلك في كل مكان و زمان.

* * *

... و نقول في زيارتنا للامام الحسين (ع) ايضاً:

«السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله». ذلك لأن النبي نوح وقف وحده مع قلة قليلة، ممن آمن معه، في مواجهة طوفان من الباطل والشر، ولكنه لم يهن، ولم يضعف، ولم يقل: ان الظالمين يحكمون الارض، و ان الطغاة قد سيطروا، و مدوا سلطانهم الى كل دائرة، و انهم يملكون من وسائل التدمير، و وسائل العنف مالا يملك.

بل قال: ان الحق معي.

والحق بجد ذاته قوة!

ثم ان الذين رفضوا الاستجابة لنوح، ولم يؤمنوا به، فقد ابتلعهم الطوفان، فيما بعد، و اصبحوا من المغرقين.

و ان كل الذين لا يقفون موقف الحق، كذلك سيأخذهم الطوفان. سواء طوفان الجوع أو الظلم أو العبودية.

و ان الذين يقفون موقف الحق -- مع اي نفر قليل من الناس -- اولئك هم الناجحون.

فالحسين هو الشاهد و الشهيد الذي وقف في كربلاء موقف الحق. لقد كان

يمثل هابيل، و كان يمثل نوح.
و بالرغم من انه (فشل عسكرياً)، الا انه انتصر بالفعل. و اما الذين تفرقوا عنه
ولم يقفوا موقفه، فان طوفان الظلم قد شملهم و اجتاحتهم.

* * *

و نقرأ في الزيارة:
«السلام عليك يا وارث ابراهيم خليل الله».
لقد كان ابراهيم صديقاً لله، و كذلك الحسين، و كل من يقف مع الحق، و
يقف مع الله حيناً يكون الدين غريباً انما يقف مع ابراهيم.

* * *

و نقرأ ايضاً...
«السلام عليك يا وارث عيسى روح الله... السلام عليك يا وارث موسى
كليم الله... السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله... السلام عليك يا وارث علي ولي
الله».

ان الحسين(ع) يقف ضمن قافلة على رأسها هابيل... و ان قافلة اليزيديين على
رأسها قابيل. و نجد اليوم من يمثل هابيل، و من يمثل قابيل، و نجد من يمثل الحسين، و من
يمثل يزيد.

يبقى ان علينا ان نكشف يزيد زماننا. و حسيته...
و للحقيقة فان من يمثل يزيد كثيرون.
ولكن من يمثلون الحسين هم قليلون. فقلة من الناس هم الذين يقارعون الظلم،
و الطغيان، و التسلط، و التجبر، بيد ان النصر يكون دائماً حليفاً لهذه القلة. ذلك لان الله
— تبارك و تعالى — يقول في كتابه العزيز:
«كتب الله لاغلبين انا و رسلي».

و ان اولئك الذين يعيشون في السجون، و اولئك الذين يعلقون على اعواد
المشائق، و اولئك الذين يتعرضون للنفي و الطرد و الهجرة، اولئك هم الذين ينتصرون في
النهاية. و هذه ارادة الله في الارض.

تري: من انتصر في معركة عاشوراء؟ الامام الحسين ام يزيد؟
لقد اثبتت الاحداث ان يزيد هو الذي قُتل في كربلاء، و اما الحسين فهو

الشهيد الشاهد الحي الذي يرزق عند الله.

فترى في كل مكان، وعلى كل ارض هنالك ذكرى الحسين(ع). فالحسين في قلوب الصادقين حيّ يرزق، وهو في قلوب الثائرين، راية تحقق، وهو في قلوب المؤمنين علم لا يمكن ان يهوى على الارض.

وهكذا هو الحسين، راية تهتز الى ابد الدهر. وانا لنجده في كل بيت. وفي كل مدينة، ففي كل مكان مؤمن حسيني يتحرك بوحى ثورة الحسين(ع). ولا تتمرّ ذكرى عاشوراء، الا والناس يثورون في كل مكان، لأن امامهم هو الحسين الثائر، وسيدهم ومعلمهم وقائدهم هو الشهيد الصادق. والسؤال الآن: ماذا فعل الحسين «وارث هابيل»؟ وماذا يجب ان يعمل «الهابيلون»؟

والجواب: ان يعملوا بشعار «لا اله الا الله» ويحولوا هذه الكلمة الى سياسة و تربية، واقتصاد، واجتماع. لا اله الا الله، يعني: رفض الطاغوت، ومواجهة الباطل، والثبات على الحق. كما يعني اقامة التوحيد. و «لا اله الا الله» هي سياسة تخريب البنى الطاغوتية، وهي سياسة البناء الحضاري المستمر.

ان الحسين(ع) قال في كربلاء «لا اله الا الله». كما قالها رسول الله(ص) في مكة، و كما رفعها المسلمون في مواجهة الظلم والطغيان، على طول التاريخ. لا اله الا الله، ليست شعارا يرفع، بل هي سياسة وعقيدة... رسالة وثورة... لا به ان يصبغ الحياة كلها بلون التوحيد، فلا ينصب طاغوت نفسه ملكا، ومالكا لرقاب الناس، لانه لا قدر على استعمال العنف، والاسرع الى الاحرام... ان الطغيان بمنطق قابيل، يمنع الحياة من النمو، ويمنع الناس من التقدم، ولذلك فالطفة عقبات في طريق الحضارة البشرية، ولا تقدم للعشوب الا اذا سقطت كل الرايات، ما عدى راية لا اله الا الله...

ومن هنا فالثائرون على الطفة، هم مشاعل الحضارة... وهم ورثة هابيل. كما كان الحسين عليه السلام.

الفصل الثالث

الظروف الموضوعية لثورة الأمام الحسين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى

(صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيم)

معركة عاشوراء هي من اقصر المعارك في التاريخ، ابتدأت و انتهت في نصف نهار، الا ان هذه المعركة القصيرة، حفظت في ذاكرة الزمن، واصبحت من اعظم معارك التاريخ تأثيراً في هذه الارض، على الاطلاق.

معركة عاشوراء، لاتزال و بعد مرور قرابة الف و ثلاثمائة و خمسين عاماً، تؤثر في نفوس الناس، و تحركهم الى العمل و الثورة، و تستدرّ دموعهم.

و يتمنى الملايين في هذا الزمن، لو كانوا في كربلاء، و قاتلوا مع الامام الحسين، و قتلوا معه! فالكلمة التي يرددها المؤمنون دائماً هي:

«ياليتنا كنا معكم! فنفوز فوزاً عظيماً».

و يستاءل المرء: كيف كانت اقصر معركة في التاريخ هي اوسعها تأثيراً في الناس؟ و ما هي الظروف التي ثار فيها الامام الحسين(ع)؟ و على من ثار؟ و من كان معه؟ و من وقف ضده؟... والجواب:

— لكي نعرف قيمة اي عمل، لابد ان نضعه في ظرفه، و وقته المحدد.
ان كلمة يقولها مؤمن في مواجهة الطاغوت، في زمن الاستسلام لى كلمة عظيمة و ان راية يحملها ثائر في زمن الصمت، لى راية مقدسة. و حينما يدخل الناس جميعاً في دين الله، و يصبح الدين (موضعة العصر)، حينئذ لن يكون الدخول في الدين بطولية، و لكن حينما يدخل المؤمن في دين الله، و ينخرط في الثورة، بينا الناس كلهم ضدها، و الطاغوت يتحكم على رقاب العباد، حينئذ يكون لهذا العمل طعم البطولة!

اي ظرف ثار فيه الامام الحسين (ع)؟

كان الصمت مطبقا، قد ضرب اطنابه في الامة، وكم من افراد جاؤا الى الامام الحسين، ينصحونه بعدم الخروج، قائلين له: يا أبا عبدالله! ان يزيد يقتلك، و هو رجل لا يستحق ان يكون قاتلك.

قال الامام: او ليس من هو ان الدنيا على الله، ان يهدي رأس نبي الله بحبي ابن زكريا الى بغيا بني اسرائيل!!

* * *

و اذا اردنا ان تذكر بأيجاز ظروف ثورة الامام الحسين (ع)، فلا بد ان نذكر اولاً: لقد تحولت السلطة في عهد الامام الحسين من خلافة، الى ملكية يشوارثها الابناء عن الابهاء، ومن حكم يعتمد على الشورى كما يأمر الاسلام، الى حكم يتدخل في تعيين الحاكم السيف و الذهب، ويوصي الاب لاولاده بالحكم كما بوصى لهم بالعقار.

بينما الخلافة التي سبقت حكم يزيد و معاوية، كانت تعتمد على نوع من انواع الشورى، الا ان يزيد عيّن ابوه بقوة السلاح، و بالترغيب بالاموال و الاملاك . و يحدث التاريخ.

ان معاوية اقام مجلسا، و جاء بكل اهل الحل و العقد فيه، و وقف الخطيب، و الى جنبه الجلاد و قال للناس: هذا امير المؤمنين. (و اشار الى معاوية). فان مات، فهذا (و اشار الى يزيد)، و من أبى فهذا (و اشار الى الجلاد)! اذن السلطات تبدلت من حكم يتدخل في تعيينه الناس و الجماهير، الى ملك عضوض، يتوارثه الابن من ابيه، و يخرج هذا الوارث من رحم امه، و بيده صك الحكومة.

لماذا؟! لانه ابن امير، فهو ولي العهد.

ثانياً: كان الحاكمون الذين يفترض فيهم المحافظة على اخلاق، اكثر الناس

فسقاً وفجوراً، ولقد قال الامام الحسين(ع):

«أنا اهل بيت النبوة، بنا فتح الله، وبنا يختم، ويزيد شارب الخمر، وراكب الفجور، وقاتل النفس المحترمة، ومثلي لا يباع مثله».

لقد حدّد الامام، الحاكم الذي تجب عليه الثورة، فهو الحاكم الذي يشرب الخمر، ويسمح بها في البلاد، ويركب الفجور، ويمارس العهر والدعارة ويقتل النفس المحترمة بالتعذيب او بالسيف!

ثالثاً: ان علاقة الحاكمين بالناس، كانت علاقة الظالم بالمظلوم والجلاد بالضحية، فالحاكم قاتل والشعب مقتول، والحاكم معصوم، وعلى الناس ان يسجدوا له، ويركعوا... بل وحتى اذا كانوا يمشون في ارض الله الواسعة، وجاء الحاكم لكي يمشي، عليهم ان يصطفوا على جانب، لكي يمر موكبه.

وحيثما يأتي الحاكم، ويفرض سلطته على الناس من دون الله، هنا تجب الثورة عليه.

رابعاً: شيوع حالة اللامبالاة والصمت بين الناس، وحيثما يموت الوجدان الشائر في الانسان، فلا بد له من صدمة دموية، كثورة الامام الحسين، لكي يستيقظ، ذلك لان اخطر انواع الموت هو موت الضمير.

وقد يتساءل المرء، كيف ماتت الضمائر؟

والجواب...

ان الجيل الرسالي الاول كان يتقرض في عهد الامام. وكان يترك مكانه لجيل جديد لم يتعود على ما تعود عليه الرعية الاول.

وكم كان الامام الحسين خائفاً، من ان يستشري الصمت على ما يجري في قصور الامراء، وفي مراكز الحكم ومؤسساته فيشمل ابناء الأمة جميعاً.

فقام الامام بشورته لكي يهز هذا الضمير الميت، ولكي يقول للناس: لا تكونوا لامبالين عما يجري في قصور الحاكمين، ولا تكونوا لامبالين فيما يفعلونه بالناس، والا كنتم معهم، وشملكم العذاب معهم.

* * *

اما بالنسبة للاجابة على سؤال: على من ثار الامام؟

فلقد حدّد الامام ذلك حينما قال:

«ان هؤلاء أظهروا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، واتخذوا مال الله دولا، وعباده خولا، وانا أحقّ من غير».

ان هنالك فئة من الناس تعبد الشيطان، وتترك طاعة الرحمن، ويتبادلون اموال لآمة فيما بينهم. وكم من عائلة تتحكم في مصائر العباد و البلاد، ويتداولون الاموال، فهذا يبني بناية، ويبيعها على صاحبه، وهذا بدوره يؤجرها على الناس. و اذا حدثت بنظرك لرأيت الفاصل الطبقي كبيراً بين الشعب الفقير، وبين المترفين، فهنا فقير يموت من الجوع، وهنا حاكم يموت من التخمّة! تلك هي المعادلة الخاطئة التي يجب تغييرها بالدم.

ولقد حدد الامام الحسين الذين ثار عليهم، بقوله:

«الا ترون الى الحق لايعمل به، والى الباطل لايتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محققا».

حينما ترى حقاً متروكاً، وباطلاً معمولاً به، فلا بد ان تثور على هذه الحالة الجاهلية...

والامام الحسين كجسد، قتل في كربلاء ودفن فيها، ولكنه كشورة، باق ما بقي الدهر، ومن هنا يتكرر الامام الحسين(ع) في كل زمان، للثورة على يزيد و اليزيديين، لان معركة الحق ضد الباطل مستمرة، منذ قتل قابيل هابيل، والى يوم يبعثون.

والناس، اما مع هذه الجبهة، او تلك...

و حينما يرى الانسان حقاً مذبوحاً، فلا بد ان يثور، و حينما يصرع هذا الانسان في سبيل الحق، يصبح قيمة حضارية، يتكرر ويعشقه الثائرون في كل زمن. الثائرون يبحثون عن الحسين في كل زمن، و يذهبون الى خيمته، ليجدوا فيه قائدهم و مولاهم، فيستلهمون منه دروس الصمود و التحدي والاستقامة، و يعودون من بعده اكثر ايماناً و التزاماً.

* * *

لقد ثار الامام الحسين على طائفتين: حاكم طاغية، و شعب مستسلم متخاذل، ولم تكن ثورته — ابداً — على الحاكمين فقط، فلولا وجود من يستسلم، لما اصبح الحاكم حاكماً، فالحاكم لا يملك سلطات سماوية، ولا قدرات خارقة، و انما

هو رجل من هؤلاء الرجال.

ولكن حينما يكون هناك صمت على مايفعل، ولا مبالاة عما يجري في البلاد،
فان الحاكم يصبح طاغوتاً و جلاداً...

اقد رأينا بأمر اعيننا كيف كان الشاه المقبور يعربد في المنطقة كشرطي
للولايات المتحدة الاميركية، الا ان قوته لم تكن ذاتية، وانما كانت نابعة من صمت
الناس.

و حينما ثار عليه الناس، اصبح هائماً على وجهه لايدري اين يعيش و اين
يموت فرة في مصر و اخرى في المغرب و ثالثة في بنا، و رابعة في مصر عند زميله انور
السادات.

و لقد رأينا كيف وضع انور السادات يده في يد الصهاينة، و عربد و زجر، و
لكن حينما ثار عليه ثائر واحد، انتهت اسطوره! و كانت رصاصات الشهيد خالد
الاسلامبولي و رفاقه الابرار، هي التي وضعت حدا لهذه الاسطورة الزائفة.
ويا لها من رصاصات حسينية!

* * *

الامام الحسين كان ينطلق من منطق الواجب. لامن منطق الممكن، و الذي
كان يهّمه هو: اذا ما عليه من واجبات. و تلك هي مسألة خطيرة تحدّد مصير الإنسان في
الحياة — ...

فما هو واجبك الآن؟

لايهم ماذا سيترتب على موقفك، فقد تعطل، و قد تعذب، و قد تقتل، و قد
تسقى، الا ان الذي يثور في سبيل قيمه، يحسب حساب القيمة، و لا يحسب حساب الريح
فهو التاجر، لا الثائر...

و كما قال الامام الحسين عليه السلام.

«ان قوما عبدوا الله رغبة في جنته، فهي عبادة التجار، و ان قوما عبدوا الله رهبة
من ناره، فهي عبادة العبيد، و ان قوما وجدوا الله اهلا للعبادة فعبدوه، فتلك عبادة
الاحرار».

و كما جاء في الدعاء عن الامام علي عليه السلام:

«الهي... ماعبدتك اذ عبدتك طمعا في جنتك، ولا خوفاً من نارك،

ولكن وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك».

كان الامام الحسين (ع) ينطلق من منطلق المسؤولية ، ومن هنا فان مسؤولية كل مؤمن في كل عصر، ان يحسب حساب وظيفته الشرعية، وواجه السماوي.

ان على المؤمن ان يثور على الباطل، اما النصر فمن الله، ان شاء اعطى و ان شاء منع...

* * *

حينما ارسل الامام علي(ع) ولده محمد بن الحنفية في حرب صفين لمواجهة العدو، أوصاه بوصايا قال فيها:

«تد في الارض قدمك، (كن ثابت القدم كالوتد و كالسمار)، عض على نواجذك، اعر الله ججمتك، وارم ببصرك اقصى القوم».

ثم قال الامام:

«و اعلم ان النصر من عند الله».

و كما يقول الشاعر:

و على المرء ان يسعى بمقدار جهده وليس عليه ان يكون موفقا

* * *

بهذا المنطق ثار الامام الحسين —ع— و هو منطق الواجب، لا الممكن.

و اما بالنسبة للإجابة على سؤال: من كان مع الامام الحسين؟ فانظروا الى كربلاء...

كان مع الحسين الطفل الرضيع... و الشاب الذي هو في عمر الورود، والشيخ الطاعن في السن، و المرأة الثائرة.

ان ثورة الحسين(ع) جاءت لتخاطب ضمائر كل الفئات فتقول:
—: أيتها المرأة!

لا تقولي: أنا امرأة، فزينب كانت امرأة، وام وهب كانت امرأة، وام كلثوم كانت امرأة، و الرباب كانت امرأة.

—: و يا أيها الطفل!

لا تقل انا طفل، هل انت اصغر من عبدالله الرضيع؟ انك لست اصغر من

هذا الطفل البريء، الذي رماه حرملة بن كاهل بسهم وقع في نحره، فذبحه من الوريد الى الوريد.

—: ويا أيها الكهل!

لست اكبر من حبيب بن مظاهر، ذلك الشيخ الطاعن في السن... وذلك
الناثر الذي قتل مع الامام الحسين(ع) و بين يديه.
لقد كان مع الامام الحسين، شعب كامل يقاتل، كانت معه المرأة والرجل،
والطفل، والشاب، والشيخ، والابيض والاسود.
و حينما يكون هنالك مجتمع يشارك، طفله وشابه، وامرأته، وشيخه في
الثورة فانه يستحق النصر من الله — عزوجل —.

* * *

اما من كان ضد الامام الحسين(ع) فهم الحاكمون من جهة وعاظ
السلاطين من جهة اخرى، اولئك الذين افتوا بقتل الامام، من امثال شريح
القاضي، وكان ضده اولئك الخائفون من الموت، الذين وقعوا في طاحونة الموت.
ان الامام الحسين عرّف الموت، قلادة جلوة تزين الانسان قائلاً:
«خط الموت على ولد آدم مخطط القلادة على جيد الفتاة».
اما الخائفون فانهم كانوا خائفين منه...

الفصل الرابع

مواقف الناس تجاه ثورة الإمام الحسين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا
وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا
سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا

(صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ)

لم يكن للناس، موقف واحد تجاه الرسائل..
بل كانت لهم دائما مواقف متباينة، ولكل موقف رجاله وافراده.
وهذه المواقف، هي ذاتها التي برزت في موقفهم تجاه ثورة الامام الحسين (ع)
باعتبارها ثورة رسالية تبناها حفيد رسول الله (ص) دفاعا عن الاسلام..
و لكي نفهم هذه المواقف، لابد ان نتعرف على اصحابها بصفاتهم، ونفسياتهم،
واساليبهم.

الموقف الاول: موقف الادانة والمواجهة، وهو موقف اولئك الذين لم يروا
من الثورة الحسينية الا وجهها المأساوي، فهم شاهدوا الدم المراق على ارض كربلاء،
كما رأوا فيها النساء المحمولات على النياق العجاف من غير، غطاء ولا وطاء..
لذلك حكموا على هذه الثورة بالفشل و ادانوها!

ان هؤلاء، خافوا من اراقة الدماء، ولكنهم بدل ان يحكموا ضد المجرمين، ادانوا
الضحايا..

ومن هنا فهم اعتقدوا ان «الوحدة» في ظل يزيد افضل من الانخراط في ثورة
الامام الحسين (ع).

الموقف الثاني: موقف الحياد، وهو موقف اولئك الذين لم يفهموا الصراع
الحضاري، و الفارق الاساسي بين الامام الحسين (ع) وبين اعدائه.

و كل مافهموه منها ان يزيد سلطان و ان الحسين ايضا سلطان ولادخل لهم بين السلاطين.

و مثل هذه الفئة لا تستطيع الا ان تؤيد الامام الحسين(ع) قلبيا، فهو ابن بنت رسول الله(ص)، الآ ان هذا التأييد لا يخرج عن منطقة القلب، ليترجم في المواقف، و من هنا، فانهم وجدوا انفسهم معفين من اتخاذ اي موقف، تجاه الصراع الذي دار بين الامام، و بين اعدائه. وكلمتهم في ذلك معروفة «مالنا والدخول بين السلاطين» و في الحقيقة، فان هذا الموقف لم يكن موقف الحياد تماما، بل كان بشكل او بآخر، منحازا الى جانب اعداء الحسين(ع) و يصب في خانة الظالمين..

ذلك لأن الارض حينما تتنقع بالدم في الصراعات فلا يمكن ان يقف الانسان محايدا، الا لكي يكون مؤيدا للقاتل..
اذ ماذا يريد القتلة، الا صمت المشاهدين، ليستمروا في عمليات القتل، من دون معارض؟

الموقف الثالث: موقف التأييد، و هو موقف اولئك الذين عرفوا ان الحسين(ع) ليس جسدا، بل رسالة، و ان ثورته لم تكن معركة انتهت في كربلاء بل هي مسيرة، و ان عدوه ليس سلطانا تجسد في يزيد، بل سلطات الجور في كل زمان..
ولذلك فقد كان قتل الحسين(ع) بالنسبة اليهم، محاولة لقتل الرسالة، كما كانت محاولة طمس قضيته محاولة لطمس الرسالة..
و هل يجوز الصمت تجاه ذلك؟

و من هنا، فان هؤلاء، وجدوا انفسهم مكلفين بحمل راية الحسين(ع)، و اتمام مسيرته..

و قد يتساءل المرء: ترى لماذا هذا الاختلاف في فهم هذه الثورة، و من ثم لماذا الاختلاف—الى حد التباین— في اتخاذ الموقف منها؟
والجواب:

ان الموقف الحقيقي للانسان تجاه اي حدث ليس موقفا «عموديا» بل هو موقف «افقي» فهو ليس موقفا انفراديا، بل هو موقف شمولي..

فتجاه الصراع بين الحق والباطل، و الايمان والكفر، لا يكون موقف الانسان الا انعكاسا لموقفه من الله—عز وجل—، و من ثم موقفه العام في الحياة..

فالانسان شاء ام ابى، يحدد موقفه تجاه الخالق اولاً — ثم يحدد جبهته في الحياة.. و من ثم يختار قدوته فيها..

فالشاب الذى لم يؤمن بالله و اعتبر نفسه مخلوقاً صديقاً، من السديم جاء، والى السديم يعود، لا يفهم الحياة الا عبثية مطلقة، و قدوته لن يكون الا العابثين، و مواقفه لن تكون الامواقف اللامسؤولين واللاعاملين..

كما ان حكامه لن يكونوا افضل منه ف «كيفما تكونوا يولّى عليكم» كما يقول الامام علي-ع-

اما الذى اختار مولاه و خضع لجبروت الله فلا يمكن الا ان يكون ثائراً ضد الطغيان، و من ثم مؤمناً بالتأثرين، فهو يرى الحياة بغير عدالة ذلة، كما يرى الموت في سبيل الله عزة، و فخراً..

و سيرى قدوته في الامام الحسين-ع- دون غيره، و رسالته في رفع لوائه، و مقاومة اعدائه في كل زمان و مكان..

الم يقل الامام الحسين-ع-

«اني لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برماً»..؟

مثل هذا سيكون ثائراً، والتأثر، يبحث عن التأثرين، و سيكون رسالياً، والرسالي لا يلتزم الا بمنهج الانبياء والصالحين..

و قد قال الله تعالى:

«يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين اتوا الكتاب من قبلكم، والكفار اولياء، و اتقوا الله ان كنتم مؤمنين».

و قال:

«يا ايها الذين امنوا اتقوا الله و كونوا مع الصادقين».

و اي الناس اصدق من الشهداء في سبيل الله؟

و اي الشهداء، افضل من الامام الحسين(ع)؟

ان الانسان قد يدعى امراً، و حينئذ يراه صعباً يتراجع عنه..

و قد يحمل رسالة، و حينئذ يتطلب انتصارها خوض مواجهة ساخنة مع الاعداء، يتراجع عنها..

والادعاء سهل..

والمدعون كثيرون..

وكما قال الامام الحسين —ع—

«الساس عبيد الدنيا والدين لعق على السنتهم يحوطونه مادرت به معائشهم، فاذا محبصوا بالبلاء قل الديانون».

ان الامام الحسين(ع) حدد اهدافه، ومن ثم اعلن ثورته، ثم حمل كل اعزته، واولاده وانصاره الصادقين، وجاء بهم الى ميدان المعركة، وخاض مع اعدائه حربا تطايرت فيها الايدي والرؤوس.. ولم يتراجع عن اي شيء..

وحينما قيل له:

— لماذا تخرج؟

قال:

— شاء الله ان يراني قتيلا!

وحينما قيل له:

— فما بالك تحمل معك النساء والاطفال؟

قال:

— شاء الله ان يراهن سبايا..!

«شاء الله!» وكفى! ومادام ان الله شاء نزول الرسالة، ومن ثم وقوع الصراع عليها ووقوف البعض معها، والآخرين ضدها، فان الله شاء للحسين ان يقف مع الرسالة، وان يقتل من اجلها، وان تسبي نساءه وعياله، ويدار برأسه اربعين منزلا!

هنا.. تجوز الثورة فقد «اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله..»
هكذا شاء الله للحسين(ع) ان يقتل!

وهكذا شاء الحسين(ع) ان يبقى صامدا لا تنال السيوف والرماح من صموده، و ثبات موقفه!

وان يكون صادقا مع الله، في عهده اليه، لقوله تعالى:

«من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا».

اذن..

مواقف الناس تجاه ثورة الحسين (ع) تختلف باختلاف مواقفهم بتجاه الله.. وتجاه الحياة.

الذين اتخذوا موقفا مضادا لثورة الامام الحسين (ع) قالوا عنه..

«قتل بسيف جده»!!

وهم بذلك ايدوا القاتل في انفسهم، وادانوا القتل ومن ثم أيدوا الاجرام في الحياة و انتصروا لشیطان الظلم في الدنيا..

ولقد تمادى بعضهم في ذلك حتى قال:

«ماصح قتله (اي ما صح ان يزيد قتل الحسين (ع) ولا امر به، وحتى لم يصح ذلك عنده)، لم يجوز ان يظن ذلك به، فان اساءة الظن بالمسلم حرام»!

قتل الحسين (ع) حلال، واساءة الظن بيزيد حرام!

وهكذا يتحول يزيد بسهولة من قاتل الى ضحية، ومن فاسق الى مؤمن لا يجوز الظن السيئ به..

وبسهولة يتحول الحسين (ع) من شاهد على زمانه وشهيد من اجل الرسالة الى خارج على امام زمانه ومن ثم «قاتل نفسه»!

ان هؤلاء لا يعطون في الحقيقة «شهادة براءة» للقاتل فحسب، بل يقدمون لكل مجرمين في التاريخ، تبريرا لاعمالهم، ويهيئون الارضية الصالحة، لتقبل الجور والظلم والعدوان..

انهم لا يدافعون عن يزيد بن معاوية، امام الحسين (ع) فقط بل يدافعون عن يزيد زمانهم، في مواجهة الثائرين..

واليزيدي، لا يختار الا يزيد قدوة..

والحسيني لا يختار غير الحسين اماما..

* * *

ان الذين قالوا: لماذا خرج الامام الحسين على نظام يزيد وثار عليه، وفرق كلمة

المسلمين، بينما كان عليه ان يلتزم بالصمت حفظاً لوحدة الكلمة! انما ادانوا الضحية وبراوا الجلاد، اولئك هم اجداد هؤلاء الذين يحملون اليوم ذات اللواء في قتل المجاهدين والمناضلين.

الم يقولوا عندما رأوا بعض الحركات الاسلامية، تتخذ مواقف الهجوم الحسينية ضد الانظمة البزيدية... قالوا انهم (ويعنون الثائرين في سبيل الله) يورطون انفسهم! وعندما وقع الثائرون في قبضة الطاغوت وادعوا السجن الم يقولوا :
«الم نقل انهم يورطون انفسهم!».

وهكذا يقومون باسقاط المجاهدين من اعين الناس، بل ولا يتورع بعضهم عن اتهام الثائرين بالغباء وسوء الفهم والادراك، ويوصمونهم في تقواهم وعقيدتهم.
ان الطاغوت يعتقل ويسجن ويعذب ويقتل، الا ان اصحاب منطق اذانة القتل!! يفسرون كل اعماله بأن الثائرين «ورطوا انفسهم» كأنهم يقولون:

السجين هو الذي جاء برجل الى السجن!

والمحروم هو الذي قال للطاغوت احرمني!

والحق - ان اصحاب المواقف هذه يعانون من التباس داخلي في انفسهم، و«نظاراتهم» مقلوبة على عيونهم، فتظهر الحياة مقلوبة في عقولهم، ورؤيتهم.
وان منطق ادانة الضحية وتبرير موقف القاتل، ليس منطقاً حديثاً، فقد تعرض له الامام الحسين (ع) في حياته وبعد شهادته .

ولكن هل منعه ذلك من الاستمرار في ثورته؟

كلا.. فقد سار الى ارض كربلاء، وصنع ملحمة البطولة والفداء، هذا في حياته، اما بعد شهادته فقد خط لنا رؤية واضحة في الجهاد، وهي ان لا نتبع منطق ادانة الضحية وتبرئة القاتل.

* * *

في يوم القيامة، سيحشر الطاغوت، والثائر... والقاتل والقتيل، وستكون انت، وغيرت من الناس ترى هل ستقف مع الطاغوت ام مع الضحية؟ مع الجلاد ام مع القتيل؟

لاريب ان الذين يحملون منطق ادانة الضحية وتبرئة الطاغوت، سيكونون في

صف الطاغوت في يوم القيامة ايضاً.

وانت اليوم تستطيع ان تحدد موقفك في ذلك اليوم العصيب، فان وقفت مع
الناثرين وفي صف انصار الامام الحسين(ع)، كنت معهم يوم القيامة.
وان انحزت الى الطاغوت، وسلطت اللسان اللاذع على المجاهدين في سبيل الله، و
برأت الطاغوت من اعماله، فانك لن تجد مكاناً يوم القيامة، الا في صف الطاغوت،
وساء ذلك مصيراً.

هذا جزاء اصحاب منطق ادانة الضحية يوم القيامة اما مصيرهم اليوم، فهل
تظنون انهم سينجون من سياط الطاغوت؟

انهم يظنون ان في ادانتهم المؤمنين سلماً لنيل الراحة من سياط الطاغوت، وان
ذلك جسر لنيل رضى الطاغوت، الا انه ساء ما يحكمون، و كانوا قوماً بوراً.

ان الجلاّد الذي يمتص دماء الناس، لا يشبع منها، فيلتهم ماحوله حتى يصل الى
مساعديه، والظالم الذي تعود الظلم وادمن عليه، عندما يصل الى حد اخفاء اخر
صوت يشهر في وجهه المعارضة، ينتقل الى الذين من حوله، فيقتلهم بظلمه.
والظلم اذا انشر في بلاد فانه، يغطي الجميع، الساكت والناطق، والقائم
والقاعد، والناثر، والخانع... ولن يسلم المتملقون من سياطه وان طال المدى.
والتاريخ يؤكد لنا هذه الحقيقة.

ان كل الذين تقاعسوا عن نصرّة الحق، وكل الذين برأوا الجلاّد، و ادانوا الضحية
وقعوا في قبضة الجلاّد نفسه و صاروا طعمة لسيفه.

فالذين تخاذلوا عن نصرّة مسلم بن عقيل في الكوفة، وتركوا لابن زياد فرصة
القضاء عليه، هؤلاء قتلوا فيما بعد بسيف ابن زياد نفسه.

و ذات التجربة تتكرر اليوم، فكل الذين رفعوا صداماً الى سدة الحكم في
العراق، حز صدام رؤوسهم، وتفرد بالحكم والحزب وحده.

اذن...

لا يحسن الذين يبررون للطاغوت اعماله، و يدينون الناثرين، انهم بمفازة من
سيف الطاغوت. والا عظم من ذلك، ان جهنم مأواهم وبس المصير.
في طريقه الى كربلاء التقى الامام الحسين، بالفرزدق، و كان الاخير قادماً
من الكوفة، فسأله الامام

«كيف تركت الناس خلفك؟» فاجاب:

— «يا ابا عبدالله! ان الناس قلوبهم معك، و سيوفهم عليك»

هؤلاء الناس، والذين يمثلون جزءا كبير من المجتمع الذي عايشه الامام الحسين عليه السلام، لم يجدهم حبهم القلبي للامام الحسين شيئا، بل على العكس من ذلك، فقد استحقوا لعنة الناس في الدنيا وعذاب الله في الآخرة.

ذلك انهم اعتبروا انفسهم في البدء، معفين من الوقوف الى جانب الامام الحسين (ع) ضد الطاغية يزيد، واكتفوا بالحب القلبي فقط.

الا ان الحب القلبي الذي لا يدعمه العمل، يزول امام الضغط، ولذلك رأينا كيف انهم ارتكبوا الخطيئة الكبرى، امام ضغط ابن زياد.

لقد اقدموا على قتل الامام الحسين (ع)، الذي احبوه وعشقوه، و اي ذل اكبر من ان يستل الانسان سيفه ليقتل من يحبه، تحت ضغط الاعداء؟!

هذه فئة اخرى قد تعيش في كل المجتمعات، تحب طرفا ولا تعمل له، فتجبر في يوم ما على مقاتلته.

وهي ضمن الفئة الثانية التي ذكرناها، الفئة اللاابالية، والتي تريد ان تعيش باي ثمن، وقد تحب شيئا الا ان هذا الشيء ينتهي عندما يتعلق الامر بحياتهم، وعيشتهم.

هم معك ان كان ذلك يدر عليهم رغدا، وان كان الامر يتطلب الوقوف ضد بطونهم وفروجهم، فانت في طريق وهم في آخر، ولعل دموعهم تتساقط عليك حينما يودعوك و اذا وصل الامر الى ان يحاربوك في سبيل رغبة فيما يصل الى بطونهم وفروجهم فسوف يفعلون.

ان الذين يسعون وراء الدنيا، و كل همهم هو الحفاظ عليها هم الذين يقفون من الرسالة، موقف اللامبالاة.

وقد يتسائل الانسان، كيف نعرف هذه الفئة، حتى لانكون منها؟

انها ليست بعيدة عنا، وقد تعيش معنا في الدار، وقد تكون انت واحدا من هذه الفئة، الفئة التي احببت الامام الحسين (ع) ثم اضطرت امام ضغط الدنيا الى محاربتة، وقد تكون انت احد قيادي هذه الفئة... الا انك لم تكتشف نفسك حيث لم تمحص بالبلاء بعد... هذه الفئة هم:

• التاجر الذي يرى تجارته فوق قيمه ومبادئه، فليس من المهم عنده ان يسجن

الطاغوت ابناء الناس... كما ليس معها عند ان يقتل الثائرون، ولا ان يطرد المؤمنين، ولا ان يقضى الفاسقون على الدين في البلاد... وكل ما يهيم ان تبقى تجارتها، وان غمست بذل الركوع لهذا الواع الفاسد، و شربت بالعبودية لهذا السلطان الجائر و ذلك

* والطالب الذي يرى دراسته فوق مبادئه، فليس معها بالنسبة اليه ان يخضع لقوانين الطاغوت، وليس معها بالنسبة اليه ان يعتقل زملائه «الذين يقولون ربنا الله»... واي شيء اخر ليس معها، وان طلب منه ان يصبح جاسوسا على زملائه في الدراسة فلا يرفض ذلك... المهم ان يكمل دراسته، ويرجع الى اهله مسرورا وهو يحمل شهادة الدراسة العليا... وليذهب الآخرون الى الجحيم!

* وكذلك الموظف الذي يرى الوظيفة اولا. ثم المبادئ... والفلاح الذي يرى الارض قبل الرسالة، واي انسان في اي عمل يرى عمله فوق الرسالة، وان كان حفارا للمقابر!

ان مجتمعا كهذا - تاجر - طالب - موظف - يبحثون عن المعيشة وهم الاكل والراحة.

ان هذا المجتمع هو الذي يقتل فيه الامام الحسين عطشاناً، ويمثل بحبسته الطاهرة. وما قيمة الدنيا التي يجعلها هؤلاء فوق المبادئ و فوق الدين والقيم؟ وهل سيحملون منها شيئاً الى قبورهم؟ ان الدنيا زائلة لاحالة، والموت آت لا ريب فيه، والتمحيص يوم القيامة، فلماذا نجعل دنيانا فوق ديننا، و اولانا فوق آخرتنا؟ ولقد قال الامام علي عليه السلام، واصفا هذه الدنيا: «مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها، والسم الناقع في جوفها، يهوى اليها الجاهل و يحذرها ذواللب العاقل»

وقال رسول الله (ص) بشأن الذي يجعل هدف دراسته الدنيا، وهو مثل لكل الذين يجعلون مصالحهم فوق دينهم:

«ومن طلب العلم للدنيا والمنزلة والحظوة عند السلطان لم يصب منه بابا الا ازداد في نفسه عظمة وعلى الناس استطالة، وبالله اغترارا ومن ا لدين جفاء. فذلك الذي لا ينفع بالعلم، ويمسك عن الحجة على نفسه، والندامة والخزي يوم القيامة. اذن ما قيمة العلم الذي يحنى منه الانسان النار، و غضب الجبار، و ما قيمة

دراسة تكون فيما بعد مكسبا اضافيا الى حكم الطاغوت؟
ان الدنيا قيمتها - لدى المؤمن - بمقدار ماتكون مطية للاخرة.
يقول الامام علي (ع):

«الدنيا دار ممر الى دار مقر، والناس فيها رجلان:
«رجل باع فيها نفسه فاوبقها، ورجل ابتاع نفسه فاعتقها».
اما الامام الحسين عليه السلام فيقول:
«اما الدنيا فقد ادبرت، واذنت بوداع، ولم يبق منها الاصابة كصابة الاناء او
خسيس عيش كالمرعى الوبيل».
فهل تستحق الصبابة ان يتقاتل الناس عليها، او يقتلون امام زمانهم. ! من اجل
الحصول عليها...؟

ان هنالك بعض من المؤمنين، يصلون بافضل صلاة، ويحجون في كل عام، و
يؤدون الخمس في ميعاده دون تأخير، ويتصدقون ايضا على الفقراء والمحتاجين، الا ان
شيئا واحدا فقط، لا يريدون تحديد موقفهم منه الا وهو: «الصراع بين الحق
والباطل»

فهم يتخذون موقفا مجايدا من ذلك فلا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، انهم اصحاب
مقولة:

«الحسين سلطان، ويزيد سلطان، ولادخل لنا بين السلاطين»
ويقولون...

«انا نصلي، ونصوم، ونؤدي كل عبادتنا على احسن وجه والحمد لله. ولا بد ان
ندخل الجنة وليس بالضرورة نحن مكلفون باكثر من ذلك»
لهؤلاء نقول...
لا...

ان الواجب الاجتماعي، فوق الواجب الفردي، وان الله سبحانه وتعالى لم يأمر
بصلاة منفصلة عن الناس، و اذا كان الناس يعانون من جور النظام الفاسد الممارس
للدين والقيم، و كانت هنالك فئة من الناس تحمل لواء القيم السماوية، فلا بد ان
تتخذ موقفا معها، والافانت محسوب على النظام، لان مجرد السكوت يعني اعطاء قوة
له، و اضافة واحد الى رصيده، و اضعاف لرصيد فئة الحق بذات المقدار.

وقد جاء في الحديث:

«الساكت عن الحق شيطان اخرس».

ولا قيمة لصلاة لا تأمر بالتقوى، ولا تنهى عن المنكر، واي تقوى واي معروف اكبر من ان يدعم الانسان الجبهة التي تعمل لاقامة الحق وازهاق الباطل، واي منكر اكبر من السكوت على نظام يقتل المؤمنين، ويزج بالثائرين في السجون؟!

وقد يخاف هؤلاء، ان يؤثر موقفهم مع الحق، على معيشتهم فتقطع ارزاقهم، وهذا ليس واردا ابدا في منطق الحياة، يقول الامام علي عليه السلام:

«الا وان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان اجلا، ولا يقطعان رزقا».

و اساسا، فان الغاية من العبادات الفردية، هو خلق الروح الاجتماعية، التي تدفع الانسان لتأييد الحق، ومجابهة الباطل.

وقد جاء عن الامام علي عليه السلام، بشأن المقياس بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كمسؤولية اجتماعية مع الصلاة والصيام كمسؤولية فردية، قوله:

«ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر افضل من عامة الصلاة والصيام»

وقال في آخر وصية له، وكان قد جمع بنيه واهل بيته:

«اوصيكماء، وجميع ولدي، ومن بلغه كتابي هذا:

«بتقوى الله، وان لا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما... كونا للظالم خصما وللمظلوم عونا».

فقد اوصانا الامام علي، باتخاذ موقف تجاه الظالم والمظلوم، قبل ان يوصينا بالصلاة والصيام وهي التي تأتي بعد ذلك في وصيته عليه السلام.

الفئة الثالثة، التي تتخذ موقفا من ثورة الامام الحسين، هي الفئة التي عرفت الحياة: مسؤولية، والدين: رسالة لابد من الالتزام بتعاليمها.

رأت هذه الفئة انها مسؤولة عن اوضاعها، وعليها اتخاذ مواقف محددة، بوحى من الله تجاه هذه الاوضاع.

وبمجرد ان عرفت ان يزيد سارق للخلافة الاسلامية و غاصب لمنصب امامة المسلمين، اشرأت اعناقها، تتطلع الى اوامر القيادة الرسالية، ماذا تأمر؟!

ينقل الرواة ان الامام الحسين عليه السلام، ارسل رسالة بنص واحد الى رؤساء الأخاس بالبصرة، يستنهضهم لنصرته والاخذ بحقه وقد كتب الى الاشراف، وكان

بينهم يزيد بن مسعود النهشلي.

واستجاب الزعيم الكبير يزيد بن مسعود لنداء الامام وقام الى تلبية نداء الحق فاندفع بوجي من ايمانه وعقيدته الى نصره الامام، فعقد مؤتمرا عاما دعا فيه القبائل العربية الموالية له وهي:

١- بنو تميم.

٢- بنو حنظلة.

٣- بنو سعد.

ولما اجتمعت هذه القبائل انبرى خطيبا، فوجه خطابه اولا الى بني تميم، وعرف مواقفهم الموافقة على نصره الامام الحسين، فسر ذلك منهم، وقد التى فيهم خطابا رائعا، ذكر فيه الامام الحسين (ع) با حسن ما يذكر، ثم ذكر يزيد بما يستحق... ولما انتهى من خطابه انبرى وجهاء بني حنظلة فاظهروا الدعم الكامل له، وللإمام الحسين (ع).

و اما بنو سعد فاظهروا التردد وعدم الرغبة فيما دعاهم اليه، و ساءه تخاذلهم فاندفع يندد بهم قائلا:

«لئن فعلتموها لارفع الله السيف عنكم ابداء، ولا زال سيفكم فيكم»...

ثم رفع رسالة للإمام عليه السلام، اوضح فيها استعداده وقبيلة بني تميم وقبيلة بني حنظلة لنصرته.

و يقول بعض المؤرخين انها انتهت الى الامام الحسين في اليوم العاشر من المحرم، بعد مقتل اصحابه و اهل بيته، وهو وحيد فريد قد احاطت به القوى الغادرة، فلما قرأ الرسالة قال:

«امنك الله من الخوف، و ارواك يوم العطش الاكبر»

هذا الرجل كان طلائعي هذه الفئة، ورغم انه لم يشارك في كربلاء، الا انه كان على اهبة الاستعداد لخصوص المعركة مع الامام الحسين (ع)، و كل ما كان ينتظره وصول رسالة من الامام اليه

لقد عرف ان الدين كما هو صلاة و صيام، فهو ثورة و قيام ايضا.

و اليوم فان الثورة الاسلامية تحتاج الى رجال من هذه الفئة، تدعم جبهة الحق في قبال جبهة الباطل.

و ليس المطلوب من المؤيدين للتأثرين ان يتظاهروا في الشوارع لاعلان هذه التأييد،

و انما المطلوب ان يحمل كل انسان جانبا من جوانب خيمة الثورة.
فعلى التاجر ان يؤيد الثورة بماله، وعلى العالم ان يؤيدها بكلمته لدفع الناس،
للاخراط في صفوف الثوار، وعلى الشاب ان يدفع من «جسمه» للثورة، مسترخضا كل
مايملك من قوة ونشاط في سبيل الاسلام.
وهكذا... كل انسان لابد وان يكون له موقف تجاه معركة الحق مع الباطل، سواء
كان هذا الموقف مباشرة في مواجهة السلطة، ام من وراء الستار.
ولعل اسهل موقف يستطيع ان يقوم به كل انسان لخدمة الثورة، ان ينشر اخبار
الثوار الحسنة، وان يتحول الى وكالة اعلام للثورة.
اذن... لابد ان يتخذ الانسان موقفا ايجابيا تجاه التأثيرين لا ان يكون محايدا، فيدعم
السلطة الظالمة بسكوته وصمته.
ولقد ادان القرآن الكريم اولئك الذين آذوا نبي الله موسى بكلماتهم، بدل ان
يؤيدوه.

يقول تعالى:

«يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى، فبرأه الله مما قالوا، و كان
عند الله وجيها، يا ايها الذين امنوا اتقوا الله و قولوا قولا سديدا، يصلح لكم اعمالكم،
و يغفر لكم ذنوبكم، و من يطع الله و رسوله فقد فاز فوزا عظيما»

الفصل الخامس

الامام الحسين
منهج ثوري متكامل

... وهيضات منا الذلة يا أبا عبد الله
ذلك ورسوله ...
الامام الحسين (ع)

بيننا و بين معركة عاشوراء.. عشرات المعارك ، و مئات الحروب..

و بعضها معارك طاحنة.. كما ان كثيرا من الحروب كانت طويلة، و قاسية، من بينها الحرب العالمية الاولى والحرب العالمية الثانية، وغيرها من الوف المعارك التي شهدتها هذه الارض بين بنى آدم..

الا ان معركة الامام الحسين(ع) مع اعدائه، تميزت بانها بقيت خالدة في آثارها، تعطي للناس رعم مرور الأزمان، روح الايمان والمقاومة و تعبئ المؤمنين في مواجهة قوى الكفر والضلال..

فاذا بنا خلال عشرة محرم نتحول الى ثوار، رغم انوفنا، فنترك بيوتنا، واهالينا، و نتجمع في مراكز التوجيه والتوعية، في المساجد والتكايا لنستمع الى الخطباء و هم يتحدثون عن احداث عاشوراء و كأنها وقعت امس، فتتفاعل مع هذه الاحداث و كأننا نعيش في يوم عاشوراء..

ترى.. ماذا تثير فينا ذكرى الحسين؟

و كيف تستدر دموعنا غزارا، من سرد قصص المآسي التي تعرض لها اهل البيت —ع— في كربلاء؟

ما الذي يدفع بالمؤمنين خلال شهرى محرم و صفر الى ان يتركوا الافراح والاعراس، و يلبسوا السواد مشاركة منهم لاحزان آل محمد(ص)؟.

وما الذي يجعل الارض خلال فترة الذكري، تتحرك باسم الحسين(ع)
فكأن كل شيء فيها يقول-- مع القائلين: يا حسين.. يا حسين!؟.
ان الحسين(ع) قتل مع كل اصحابه في عام ٦١ هـ من الهجرة، ولم يمض قرن
من الزمن حتى وقف أبو العلاء المعري-- وهو شاعر مكفوف-- وتطلع الى الأفق قائلاً:
وعلى الأفق من دماء الشهيدين علي ونحله شاهدان
فهما في اوائل الصبح فجران وفي اخرياته شفقان
ان الاعمى يبصر دم الحسين، وكثير من المسلمين، حينما ينظرون الى الأفق،
يتذكرون قطرات التي اريقت في كربلاء قبل اكثر من الف عام وسؤال هو: لماذا؟

* * *

الامام الحسين قضيتان.. قضية حق مضيع، وقضية جسد مقطوع.. اما قضية
الجسد المقطع فانتتهت، ودخل الحسين في جنات الله وهو سيد الشهداء وسيد شباب
اهل الجنة.

ولكن قضية «الحق المضيع» هي القضية الباقية، ومن هنا فكل محروم
يبحث عن سيده، وكل مستضعف يبحث عن مأوى وكل مطرود عن البلاد، وكل
سجين، وكل معتقل، وكل معذب يبحث عن امام وقوة ليستلهم منه الدروس
ولا يجد افضل من الامام الحسين معلماً وهادياً ومرشداً..

وهنا يمكن السر في حب الناس له فهم يرون في الامام مبادئهم وشخصيتهم
وكرامتهم، وعزتهم ومن هنا فان من لا يملك حسينا في قلبه لا يملك كرامة في حياته،
ويضيع نفسه ويبيعها بسهولة، كما ان الذي لا يكشف البطولات المتجسدة في ابطال
كربلاء، لا يتذوق طعم البطولة حيث لم يعرف الابطال.

وهكذا فان الامام الحسين ليس فرداً، بل هو مشروع، وليس شخصاً بل هو
منهج.. وابعاد قضية الامام الحسين وثورته المقدسة تعطي اجابات دقيقة، وتفصيلية
عن مجموعة من الاسئلة التي تحاصر الثوريين بين فترة واخرى.. وسنحاول هنا طرحها
واستلهاهم الجواب عليها من ثورة الحسين(ع)..

السؤال الاول: ماذا نفعل ان لم نجد استجابة جماهيرية؟ وهل الجماهير
تسبق عملية تفجير الثورة ام الثورة تستبق عملية تفجير الجماهير؟.

انك تريد ان تتحرك ، وتفجر ثورة عميقة في المجتمع، الا انك لا تجد من يصغى اليك، ولا تجد صدى لكلماتك في قلوب الناس فإذا تفعل؟ .
هل تنتظر لكي تتحرك الجماهير، ومن ثم تقودهم...! ام تتحرك انت لكي تقود الجماهير؟.

وهذا التساؤل كثيراً ما يرمي الى الذين لا يعرفون الامام الحسين، بالأس.. فانهم يقولون ماذا نفعل اذا لم يتحرك الناس ولم نجد اذنأ صاغية؟ و «على من تفرع مزاميرك ياداوود»؟!.

السؤال الثاني: ماذا لو وجد الثائرون انفسهم فجأة، امام ابواب مغلقة، فإذا بالمعادلات التي تحركوا ضمنها قد تبدلت، واذا بحساباتهم لم تعطي الاجابات الصحيحة، لقد كانوا يحسبون حسابا معيناً، ولكن الحسابات كلها اصبحت خاطئة، فإذا يفعلون؟

السؤال الثالث: في عملية المجابهة، وحينما تفاجئ بان عدوك اكثر منك قدرة على القتل والتدمير والنسف، هل تحاول انقاذ ماتبقى من اصحابك، و هل تحمل على ظهرك بعضاً من مشاريعك و تهرب بها الى شاطئ الامان، وتقول: لماذا ننتحر؟ فلننقذ مايمكن انقاذه ام تواصل المسيرة وليكن مايكون!

هذه عينات من الاسئلة التي تحاصر الثوريين، بين فترة و اخرى، في حياتهم النضالية، و يبحثون عن الاجابة عليها.

و ثورة الامام الحسين اعطت الاجابات على تلك الاسئلة، وستحدث عن ذلك، الا انه من الضروري ان نذكر ثلاث حقائق، قبل ان نبدأ في الاجابة على هذه الاسئلة..

الحقيقة الاولى: ان علينا ان نفهم الحسين نموذجاً يتكرر في اتباعه و مريديه، وان نفهمه معجزة حدثت مرة واحدة، و لن يرى الانسان لها مثيلاً في هذه الارض، حتى في صورة مصغرة هكذا نفهم الامام الحسين، وهكذا اراد لنا النبي ان نفهمه حينما صرح في احاديث متواترة مختلفة: «حسين مني و انا من حسين»، «كلنا سفينة النجاة، و سفينة الحسين اوسع، كلنا سفينة النجاة و سفينة الحسين اسرع»، «الحسين مصباح الهدى، و سفينة النجاة»، «الحسن والحسين امامان قاما او قعدا».. «الحسن

والحسين رحمانتي من الدنيا». «الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة»، وبذلك اعطى رسول الله لنا القدوة التي لا بد من محاولة الاقتداء بها، باعتبارها نموذجاً لا بد ان يتكرر في ازمان مختلفة، واماكن متفاوتة..

وللحقيقة.. فان العدو فهم الامام الحسين كنموذج يتكرر، فقد جمع عبيدالله ابن زياد، لمقاتلة الامام الحسين مليون جندي — حسب بعض الروايات — و امر بالمنادي ان ينادي في مدينة الكوفة التي كان فيها على الاقل اربعة ملايين نسمة: ان برئت الذمة ممن لا يخرج لقتال الحسين، فمن يستطيع ان يحمل السلاح، اي السيف فقط، او الرمح فقط، او النبل فقط، فلا بد ان يخرج لقتال الحسين وهكذا عباً ابن زياد كل الناس في مدينة الكوفة، وهو يعرف ان جيش الامام صغير، لماذا؟ لانه اراد ان يورط كل الناس في عملية قتل الامام الحسين، لكي لا يترك مجالاً لاحد فيما بعد ليحاول الاقتداء بالحسين والطلب بثأره.

و تقول الروايات: ان شاباً امسك به في مدينة الكوفة، لم يكن قد خرج لقتال الحسين، فأثروا به الى عبيدالله بن زياد، فقال له هذاالاخير: لماذا لم تخرج لقتال الحسين؟

قال: اصلح الله الامير، الاعرف حسيناً، و اضاف: انا رجل من اهل الشام، ولي دين على رجل من اهل الكوفة، و انما جئت لكي استوفي ديني و مالي.. فقال ابن زياد لجلاوزته: اقتلوه، و انصبوا را سه على بوابة مسجد الكوفة، نكيلة لغيره.

فالذي لايعرف امر وآلي الكوفة، ولا يعرف الحسين ولم يخرج، قتل فكيف بالذي عرف و سمع؟؟

و استطاع ابن زياد ان يعيبي — حسب بعض الروايات — قرابة مليون جندي، لمقاتلة الامام الحسين ملأوا المسافة من كربلاء الى الكوفة، من هنا: فان الامام الحسين حينما كان يهجم عليهم كانت مؤخرة الجيش تصل الى الكوفة، كما ان الصحراء كانت ممتلئة بالرماح والسيوف، حتى ان الراي كان من بعيد يراها مثل غابة من نخيل!

بينما كان عدد كل جيش الامام الحسين خمسة واربعين راجلاً، و ستة و ثلاثين فارساً فقط، و في معركة كربلاء قتل كل الرجال والاولاد، ماعدى علي بن

الحسين زين العابدين.

و بعد مقتل الامام الحسين، امروا بالخيل ان تدوس جسد الامام... لماذا؟!
لكي لا يبقى من الامام الحسين جسد، فلا يصنع له قبر، ولا ترتفع له راية،
ويتناثر لحمه في الارض، ولا تدل عليه شاهدة وفاة.
و من هنا نعرف، لماذا قامت زينب - بعد سبيها - برمي نفسها من
على الناقة الى الارض، وهي صارخة تبحث عن جسد بلا رأس، لتقول: هذا جسد
ابي عبدالله، فقط لكي تدل على قبره وتمنع من انهدام علامات شهادته.

* * *

الحقيقة الثانية: ان اولئك الذين احبوا الامام الحسين ولكنهم، لم يخرجوا
لنصرة الحسين خوفا من القتل او السجن او مصادرة الاموال لم ينجوا من ذلك ومن
هنا فقد حدثت مجزرة في الكوفة، واستباحة المدينة.
و الامام الحسين (ع)، كان قد كتب رسالة من سطر واحد، الى كل اقربائه
و بني هاشم، حينما خرج من المدينة المنورة، جاء فيها: انه من لحق بنا، فاز، و من لم
يلحق لم يبلغ الفتح.
لقد استنجد بهم الامام لنصرته، لكنهم لم يستجيبوا، واستيحت المدينة لمدة
ثلاثة ايام، و هتكت اعراض الف عذراء من بنات المسلمين و قتل جمع كثير من
صحابه النبي (ص).
كل هذا يكشف عن حقيقة هامة جدا ، و هي ان من يخاف الموت لا
يستطيع الهروب منه.

فحينما تحجم جماعات من الناس عن نصره الحق، في الصراع مع الباطل، فانها
ستضطر لدفع الثمن على ذلك.. ان عاجلا او آجلا..
الم يتكرر هذا المثال في لبنان، لاولئك الذين خرجوا خوفا من الموت، والذين
لم يقاوموا؟ ماذا فعل الاسرائيليون بهم؟ الم يقتلوا منهم خمسة الاف؟ الم يحرقوا
جثثهم؟ الم تتكرر الحادثة مرة اخرى؟ والا يعني ذلك، ان من لا يقتدي بالامام
الحسين (ع)، فلا يحتضن الموت، و هو كريم عزيز، فان الموت يتخطفه و هو لئيم
وذليل؟ واليس الامام الحسين، و ثورته، ثورة و قضية تتكرر؟

* * *

الحقيقة الثالثة: ان الامام الحسين لم يكن متورطاً في قضيته، بل كان ثائراً فيها..

و كانت لثورته مرحلتان:

المرحلة الأولى — المرحلة السلبية.

المرحلة الثانية — المرحلة الايجابية.

و لقد امتدت المرحلة الاولى، من بداية موت معاوية بن ابي سفيان، حيث رفض الامام الحسين(ع) و هو في المدينة، اعطاء البيعة ليزيد بن معاوية، و امتدت الى يوم التروية في مكة المكرمة، حيث بدأ الامام مرحلة اخرى من ثورته.

و في المرحلة الاولى، كان الامام رافضاً، لاي حل بينه وبين يزيد، و قد قام اكثر من وسيط بمحاولة تقريب وجهات النظر، و على الاقل فرض الحياد على الامام، و لكنه كان يرفض ذلك.

كان الامام في هذه المرحلة، يرفع «لا» عريضة، في وجه النظام اليزيدي الحاكم..

اما في المرحلة الثانية، فان الامام الحسين — بدأ هجوماً ثورياً على النظام، حيث احل من احرامه و اعلن الخروج ضد يزيد، فقام خطيباً في مكة عشية مغادرتها باتجاه الكوفة و قال:

الحمد لله و ماشاء الله، و لا قوة الا بالله، و صلى الله على رسوله.. خط الموت على ولد ادم مخطط القلادة على جيد الفتاة، و ما اولهني الى اسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف، و خير لي مصرع انا لاقيه، كاني باوصالي تقطعها عسلان الفنوات بين النواويس و كربلاء فيملأن مني اكراشاً جوفاً، و اجرية سغباً، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضا اهل البيت، نصبر على بلائه و يوفينا اجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمة، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس، تقر بهم عينه، و ينجز بهم وعده.. الا و من كان فينا باذلاً مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فاني راحل مصباحاً انشاء الله تعالى..»

و هكذا هاجر الامام من مكة باتجاه الكوفة، ليس خوفاً من الموت، بل بحثاً عنه، و ليس تجنباً للمجابهة، بل اختياراً لموقعها، فالامام رفض ان يجر لمعركة لم يختر زمانها او مكانها، فله «مصرع هو لاقيه» و هو ليس في مكة، بل في كربلاء.

وبهذه الحركة، بدأ الامام المرحلة الاولى رافضاً، ولكنه في المرحلة الثانية كان مبادراً، يمتلك زمام الموقف، وقد قام الامام بحركات على وتيرة سريعة من الايقاع، حيث أرسل منذ تلك اللحظات رسله الى زعماء المسلمين في البصرة، والري.. وارسل مسلم بن عقيل الى الكوفة، ثم تابعت رسائله اليه.. وخرج هو ايضا باتجاه كربلاء..

* * *

و بعد توضيح هذه الحقائق من ثورة الامام الحسين (ع) نعود للاجابة على الاسئلة السابقة.. ونقول اذا لم يجد الثائرون استجابة جماهيرية لثورتهم.. فان واجبه ان يثوروا- ليس في وجه الطاغوت فحسب- بل في ضماثر الناس ايضا. فما دام ان الجماهير لا تستجيب لنداءات الثورة، فان ذلك يعني ان الخلل في الضمير الجماعي الرادع.

لقد اوضح الامام الحسين (ع) هذه الحقيقة حينما قال:
«الأترون الى الحق لا يعمل به، والى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً»..

فما دام ان الحق لا يعمل به، والباطل لا يتناهى عنه، فهذا يعني ان ركاز الخوف، والرعب او التكاسل، يرين على قلوب الناس، ويمنع ضمائرهم من الاستجابة..

اذن.. فان الناس بحاجة الى عملية تفجيرية، في داخلهم، يعيد اليهم النقاء، و التوتر تجاه الحق.. ومن هنا نجد ان الامام الحسين (ع) اختار موقعا متوسطا تقرىبا، بين المدينة، والشام، والكوفة، لتنتشر اخبار ثورته في كل العواصم المؤثرة.. آنذ، فالحسين (ع) لم يكن يريد تغيير نفسية يزيد بن معاوية، او عبيدالله بن زياد.. بل كان يريد... تغيير ضماثر الناس..

ولهذا ايضا اختار الامام تلك الطريقة المأساوية لمقتله، حتى يهز كل من يسمع عنه، وعن استشهاده، واعطى في ثورته دروسا في البسالة، والصمود تكفي لالوف الاجيال من بعده..

ومن هنا، ايضا فان ثورة الامام الحسين (ع) اصبحت.. صاعقا لكل الثورات التحررية، والاصلاحية في الامة الاسلامية.

وتوالت من بعد عاشوراء، الثورات المقدسة، التي كانت تستهدف الإصلاح الشوري، والتغيير الاجتماعي، كما حدث بعد فترة تغيير كبير في الدولة الاسلامية، اودى بالحكم الاموي الى السقوط..

وانه لم تمض ست سنوات حتى كان قتلة الامام مقيدون في الاصفاد يتلقون جزاءهم العادل، على ايدي الثائرين. من اصحاب المختار الثقفي.

و تحول شعار «يا لثارات الحسين»، بيرقا في كل ثورة، و راية، في كل تحرك جماهيري اصلاحي... ان الامام الحسين(ع) واجه جبروت الطاغوت بكبرياء الدم كما واجه صمت الجماهير بسلاح الاستشهاد و من هنا فقد كثف الامام الحسين من احاديث الشهادة، والمطالبة بالثورة، و واضح ان الامام لم يكن يتحدث في ذلك مع الاعداء.. ولا مع الشهداء.. بل كان يتحدث مع ضمائر الناس..

فالحسين(ع) اعتبر اعدائه امواتا، منذ صباح عاشوراء، حينما نظر اليهم، و هم ملأ الصحراء و بكى..!

فسأله اخته زينب، مم بكاؤك يا ابا عبدالله؟

فأجاب: ابكي لدخول هؤلاء النار بسبي..

لقد كان يائسا منهم الا انه لم يكن يائسا من الاجيال القادمة.

و هكذا فان الجماهير اذا سكنت، فهي بحاجة الى عملية ثورية في ضمائرهم.

و الامام الحسين(ع) احدث هذه الثورة، في زمانه، ولا يزال يحدثها في زماننا، و على مر العصور...

لقد كان الامام في الثالثة و الستين من عمره المبارك و كلما فعله، كان نابعا من ايمان عميق بصورته و لم يكن ابدأ مندفعاً بعاطفة الشباب...

و رغم ان الامام كان يريد تشكيل حكومة اسلامية، على انقاض حكم يزيد، الا ان احتمال نجاح الامام كان غير وارد لدى اي عاقل...

فالناس، كانوا قد خضعوا لعملية غسيل مخ استمرت اكثر من ربع قرن.. كما ان اجهزت الدولة كانت خاضعة تماما ليزيد.. و قد اخذت البيعة من الناس مرتين، مرة في عهد ابيه و اخرى بعد موته.. و كل ولاية ابيه، كانوا مرتبطين به مصيريا.. فكيف كان من الممكن نجاح ثورة على دولة لم تنزل فتية بعد..؟

الآ ان الامام كان بشورته يحدد الهدف الذي على الجماهير السعي لتحقيقه، و تفجير الشورات من اجله.. وهو تصحيح المسار الاسلامي، بعد تعرضه للانحراف.. و تنقية الثورة الاسلامية بعد أن تعرضت للتحريف.. والعودة الى اصول الاسلام، بعد ان تعرضت للترجييف ولهذا فان الامام الحسين(ع) كان يريد ان يُقتل و كان في استطاعته في اي لحظة ان يتخلص من الموت ولكنه لم يفعل... فهو يريد الموت الذي يفجر البطولة، وهو يريد الاستشهاد الذي يهز الضمائر..

و تلك هي الثورة المطلوبة، حينما يفقد الثائرون التأييد الجماهيري المطلوب. ماذا لو وجد الثائر، فجأة، الابواب مغلقة امامه؟ لقد ارسل الامام الحسين عليه السلام ممثله الى الكوفة، و رسالة مفصلة يطلب فيها من الناس ان يعاملوه معاملة القائد حتى يأتي اليهم.. و كما يبدو من رسائل الامام، و تحركاته فانه قد بنى مخططا كاملا لعملية ثورية ضخمة..

الآ ان الذي حدث هو ان ممثل الامام في الكوفة قتل.. كما ان بعض من ارسل اليه رسائله لم يتسجيبيوا له و قسم كبير من الذين خرجوا معه، خانوه و تراجعوا عنه..

و هكذا اصبحت الثورة تواجه خطرا حقيقيا.. الآ ان الامام لم يتراجع.. لماذا؟

لأن الثائر ليس هو الذي يصمم على الثورة، بدون ان يضع في حسابه، انه سيواجه الخطر..

فالثورة تعني اقتحام الاخطار.. ولا توجد ثورة بلا مصاعب، كما لا يوجد انتصار بلا تضحيات.

الا ان الثائر الحقيقي هو الذي يقتحم على الموت معاقله.. و يتجاوز حاجز الرهبة منه..

فالموت جبان..

ومن يهرب منه، يتعبه.. بينما من يهجم عليه يخاف منه.. توي.. اليس الحسين عليه السلام اذن: منهجا ثوريا متكاملًا؟

الفصل السادس

المواقف البطولية في ثورة الامام الحسين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ
إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا

(صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ)

'البطولة ليست شعارا يرفع، او كلمة تقال.
وهي ليست و ساما، يلصقه الانسان على كتفه، فيصبح بطلا.
انما البطولة، مواقف يصنعها الانسان بنفسه.
ونظريا... فان كل انسان يتعنى، ان يكون بطلا، الا ان ما تتطلبه البطولة
تدفعه للهرب منها في وسط الطريق.
وقد يظن البعض ان البطولة تعني المغامرة، ولكن المغامرة ليست من البطولة
في شيء.
انما البطولة ان يقدم الانسان على عمل يخشاه كل الناس، و يروونه امرا
لا يُطاق، ولا يكون هذا الاقدام عبثيا و انما يكون اقداماً لامر حضاري يتطلبه الموقف
في حينه.
لذلك فقد قامت الكثير من الثورات، ونشبت الكثير من المعارك، ولكن
القليل من المعارك هذه استطاعت ان تعكس مواقف بطولية، عند بعض الأطراف.
بينما نجد ان معركة كربلاء، هي في طليعة المعارك التي رسمت للناس
البطولة، فارتقت بذلك اعلى سلم الثورات «البطلة» في التاريخ...
فأين البطولة في هذه الثورة؟
ان للامام الحسين (عليه السلام) و اصحابه مواقف يوم عاشوراء تتجاوز مجرد

الحرب و هذه المواقف هي التي صنعت منه البطل، و خلدت اصحابه الابطال، فبقوا على مرّ التاريخ والاجيال، ينبرون الطريق للسالكين.
ولا بد لنا ان نفهم تلك المواقف، و نحاول ان نقلد الامام فيها، حتى نكون بالفعل من انصاره، و المستجيبين لندائه الذي طالما كرره يوم عاشوراء و هو:
«هل من ناصر ينصرنا»؟

* * *

الموت، هو مصدر خوف الإنسان الحقيقي...
و كل خوف ينتهي الى الخوف من الموت: فالإنسان انما يخاف من المرض، لان المرض قد يؤدي به الى الموت، و يخاف ايضا من الفقر لان الفقر يحمل الجوع، والجوع يقدر يقرب إلى الموت.
و حتى ان امتناع بعض الناس عن نصرة الحق، انما هو نابع عن اعتقاد خاطيء منهم، ان نصرة الحق ستودي الى السجن، او مطاردة اهل الباطل لهم، و من ثم... الموت...!
ترى: هذا الشيخ الذي يرتجف منه الناس خوفا، كيف كان موقف الامام الحسين منه؟

لقد كان موقف الامام الحسين من الموت يوم عاشوراء، موقف العاشقين له و الباحثين عنه، اذ عانق الموت ساخنا، باعتباره اقصر الطرق للقاء بجده رسول الله، في جنان الله الواسعات.

ان نظرة الامام الحسين الى الموت، كانت كانتقاله من الشمس الى الظل، — كما يعبر عنه الحديث — الشريف، أو كانتقاله من السجن الى الحرية.
يقول الحديث الشريف:

«الدنيا سجن المؤمن، و جنة الكافر»

ان الذين يؤمنون بالغيب لا يخافون من الموت، اذ يرون الجنة من ورائه، و يرون الموت وسيلة لنقلهم الى الرفيق الاعلى...

اما الذين يخافون من الموت، فهم الذين لا يؤمنون بالله و اليوم الاخر، و من هنا فالمت بالنسبة اليهم يعتبر نهاية، او بداية للشقاء الابدی.

الم يكن الامام الحسين(ع) يكرر قول الشاعر:

سأَمْضِي و ما بالموت عار على الفتى
إذا مانوى خيرا و جاهد مسلما؟

أولم يقل عندما سقط على رمضاء كربلاء؟
«بسم الله و بالله، و على ملة رسول الله... الحمد لله... هكذا القى الله مخلصا
بدمي مغضوبا حقي».

تماما كما قال ابوه الامام علي بن ابي طالب (ع) من قبل عندما ضربه ابن
ملجم بالسيف على رأسه في مسجد الكوفة:

«فزت و رب الكعبة، قتلني ابن اليهودية»!

فالشهادة اكرومة يمن الله بها على من اراد من خاصة اوليائه، فالقتل لهم
«عادة و كرامتهم من الله الشهادة»... و في رؤية الامام الحسين (ع) فان الشهيد
لا يسقط على الارض، بل يسقط في احضان حورالعين، و ما من انسان الا و يحاسب
في القبر، على كل كلمة قالها، و كل فعل قام به، الا الشهيد فلا يحاسب على اعماله
واقواله. و ما من انسان يموت الا و يقبض ملك الموت روحه، الا الشهيد فان الله هو
الذي يقبض روحه.

هذه رؤية الامام الحسين عن الموت، و هذه فلسفة الشهادة في سبيل الله...
في نظره—ع— فلماذا الخوف؟

ان الانسان الذي يعيش حياته لله، يموت في سبيل الله، والذي يصرم حياته
خدمة للطاغوت، يموت في سبيل الطاغوت ايضا، و الفرق بين موتة في سبيل الله و
موتة في سبيل الطاغوت هو الفرق بين الحق و الباطل، و النور و الظلمات، و الجنة
و النار!

* * *

ثم ان الموت موتان:

موت ياتي اليك، و موت تذهب اليه.

فاذا جاء الموت اليك، فهو موت الجبن، و المضعف و الاستسلام...

اما الموت الذي تذهب اليه، و تفتش عنه، و تعانقه، فهو موت البطولة...

و في كربلاء، حيث عانق الحسين و اصحابه اسنة الرماح، و حدد السيف، و
دفعوا ارواحهم ضريبة التمسك بالحق و العدل و الحرية، من اجل الله، و من اجل

تحرير الجماهير التي تحكم فيهم الجور المستند على الاستغلال، كان الموت موت البطولة...

لان الابطال هناك هم الذين فتشوا عنه، وحينما وقعوا على الارض كانت راية العدالة تحفق على قبورهم، فصنعوا من كربلاء... ارض الشهادة.
كما صنعوا من عاشوراء معركة البطولة!

* * *

هل كانت للامام الحسين عاطفة؟ وهل كان قلبه يخفق لمن يحبه؟
نعم... فهو كأني انسان كان يحب اهل بيته و اخوانه و اصدقائه.
و كان حبه اكثر لابنه علي الاكبر، اذ كان اشبه الناس برسول الله، و قد قال عنه حينما اذن له بمبارزة العدو:

«اللهم اشهد على هؤلاء القوم، فانه قد خرج اليهم اشبه الناس خلقا و خلقا و منطقا برسولك، وكنا اذا اشتقنا الى رسول الله نظرنا اليه... اللهم امنع عنهم قطر السماء، و فرقهم تفريقا، و مزقهم تمزيقا واجعلهم طرائق قدا...»
الا ان هذا الحب، كان حبا في سبيل الله، لذلك فقد كان علي الاكبر اول شهيد سقط من بني هاشم، لكي يقول الامام الحسين عليه السلام عمليا:
«انا انسان واحب ولدي، الا ان حبي لله اكثر من حبي لولدي، لذا اقدمه قربانا لله»

فكان بذلك مصداقا لقوله تعالى:

«والذين امنوا اشد حبا لله»

و كان من عادة الامام — كلما سقط شهيد على الارض في معركة كربلاء — ان يأتي اليه — رغم اخطار هذه العملية — لكي يكون عنده لدى موته.
و كانت عملية الحضور من شخص الامام، رمزاً منه لتلك الرابطة اليمانية التي تربط القائد بجنوده في الاسلام.

و كان حضوره في زيارة الشهيد، يقتصر لحظات يقفها عند رأسه، ثم يعود الى خيمة القيادة، لان ضراوة المعارك لم تكن تسمح له باكثر من ذلك.

الا ان الحضور رافقه «شيء» اخر من الامام تجاه ابنه علي الاكبر...

فعندما سقط جاء له ثم انحنى عليه، ووضع خده المبارك على خده، تماما

كما كان رسول الله يضع خده المبارك على خده هو، يوم ان كان طفلاً يلعب في حضنه.

و كان وضع الخد تعبيرا منه — عليه السلام — عن تمنيه بان يكون هو المقتول بدل ابنه...

و ذات الموقف تكرر منه يوم عاشوراء مع شهيد آخر.
فن كان هذا الشهيد؟.

— عبد تركي، كان ملكا للحسين، تعلم عنده اللغة العربية، وقراءة القرآن.

وقد نال هذا العبد، ما ناله علي الأكبر تماماً...

فما قصة ذلك؟

في صباح يوم عاشوراء: شوهد عبدٌ تركي في ساحة المعركة، و هو ينظر يمينا و شمالاً كأنه لا يصدق ما يرى.
انه يعرف مولاه جيداً.

ولكن اجتمع كل اولئك على قتاله؟

كم هو بشع أن يصبح الانسان و قوداً لنار أحقاد الآخرين.
انطلق — بلا سابق انذار — نحو المعركة، و كان يصيح — و هو يلوح بالسيف الذي في يده:

البحر من طعني و ضربي يصطلي و الجوم من سهمي و نبلي يمتلي
إذا حسامي في يميني ينجلي ينشق قلب الحاسد المبجل
كان يهاجم يمينا و شمالاً... و يقتل... و يقتل... و يقتل.

حاصرته مجموعة من قوات العدو.

و بعد لحظات كان صريعاً على الأرض. لم يقل «يا عماء» ولا «يا أبتاه» ولا «يا أخاه» لأنه كان غريباً عن أهله لا أب له، ولا عم، ولا أخ في كربلاء.

غير ان الإمام لم ينتظر منه التفاتة لكي يذهب اليه قبل موته.
فقد ظل يراقب حركه بنفسه، حتى إذا أحس انه سقط، سارع الى مصرعه مع بعض الجنود.

نزل عن الفرس... و انحنى...

ووضع خده المبارك على خده الذي كان منقعا بالدم.
فأحس العبد بحرارة خد الامام.
فتح العبد عينه: رأى جبهة الامام وهي تلامس جبهته... فرح... تبسم...
ومات!

* * *

ما اسم هذا العبد؟
اين ولد؟
كيف جاء الى كربلاء؟
لا يذكر التاريخ شيئاً من ذلك. فهو عبد مجهول، عرفت به الشهادة من أجل
الله، والحق، وخلده الامام الحسين الذي وضع على خده... ذات يوم...
فما اروع بطولة الامام، وما اروع بطولة هذا العبد.
فلقد رسم لنا الامام خطارساليا في الثورة... هو:
«ان ثورة الاسلام، لاطبقية، ولا عنصرية، المبادئ هي التي ترفع الافراد او
تخط بهم.

لا فرق فيها بين العبد الاسود الغريب، والابن الذي يشبه رسول الله... فقيمة
الفرد فيما يعطيه، وفيما هو مستمر في عطائه، وليس في نسبه، او منظره او ارومته.

* * *

وهناك نموذج آخر للبطولة... انه نموذج الحربن يزيد الرياحي... هذا
الرجل الذي.

كان يمكن ان يصبح «لعنة التاريخ» في معركة عاشوراء.
فهو أول من وقف في وجه الإمام.
و أول من هذده بالحرب.
و أول من طالبه ان يضع يده في يد يزيد...
و كان السبب المباشر لحبس الإمام في صحراء كربلاء حتى يجتمع عليه
جيش الكوفة الضخم.
إذن... كان يمكن ان يصبح اللعنة الاولى، لولا انه ثار في الوقت المناسب
على... ذاته...

ان الثورة تشتعل، اول ما تشتعل، في «نفس» الانسان ثم تمتد الى المجتمع...

فالصفات التي يجب توفرها في الثائر، تتطلب ان يكون في حالة ثورة داخلية لكي يستطيع تحمل آلام الثورة على النظام، والواقع الفاسد.

ان الثائر يجب أن لا يحمل نقاط ضعف في ذاته.

يجب ان لا يكون عبداً لشهوة الجنس. أو شهوة الطمع، أو شهوة السلطة، أو حتى شهوة الحياة. بل لابد ان يكون متحرراً من كل ذلك حتى يملك مرونة التحرك، والقدرة على تغيير الموقف.

ولكن التخلص من سلطان الشهوات، ليس سهلاً، ولهذا فان الثائرين الحقيقيين ليسوا كثيرين. انهم قلة، ولكنها القلة التي تحمل مشاعل الدرب لمن يريد أن يصنع الخير لامته.

و كان هذا الشهيد من القلة.

كان ضابطاً في الجيش، يعيش تحت أو امره الف جندي فارس...

خرج من الكوفة مع لواء كامل، وهدفه ان يجبر الإمام على البيعة ليزيد، أو يأخذه إلى الكوفة عند عبيد الله بن زياد بعد ان خدعه النظام بشرعية خلافة يزيد ابن معاوية.

و ظل محتفظاً برتبته كضابط كبير في الجيش حتى صباح يوم عاشوراء — ٦١/١/١٠ هـ — حين اصطف كل من جيش الإمام، وجيش ابن سعد استعداداً للقتال.

هو كان من الطليعة في جيش ابن زياد الذي واجه الإمام و منعه من العودة الى مكة، او المسير الى اي مكان آخر حتى يبايع يزيد.

و الآن، حيث جاءت الأوامر صريحة ومشددة بقتل الإمام و كافة من معه، او يبايعوا يزيد، فان ضمير الرجل بدأ يتململ.

ماذا؟ يقتل الحسين و كل من معه؟

ولماذا يقتل الحسين؟

هل ارتكب جريمة لأنه رفض النظام القائم؟

و هل رفض النظام الفاسد يتطلب القتل؟

لقد اصبح الرجل واعياً لما ارتكبه... مدركاً لابعاده... فهو السبب في وقوع الإمام محاصراً بين الجيش المعادي.

ويليه دور كبير في الجريمة فاستيقظ ضميره. وبدأت المعركة.
ان المعارك قد تكون عنيفة، ولكن ليست هنالك معركة اعنف من معركة «الذات» و«الضمير» انها توجع، وتهز، وتصيب الانسان بقشعريرة حادة.
لقد وجد الرجل نفسه في معركة مع الضمير. وتمثلت امامه بشاعة الوزر الذي سيحمله إذا ما قتل الحسين و كل من معه.
فاهتز.. وارتجف.

* * *

نظر الى الجيش الضخم الذي كان يملأ الصحراء، و كله الحاد و شرارة، و جهل.

و نظر إلى الجيش الصغير الآخر الذي كان قوامه اقل من مائة هندي، و كله ايمان، و عزم، و وعي.

و الحرب التي ستقع بينهما، من مشعل الفتيل فيها؟
انه هو...
و احس بالاثم.

فكر ان يقوم ببعض المساعي الحميدة، لعله ينقذ الموقف. جاء الى خيمة القيادة، وقف امام قائد القوات: عمر بن سعد، و جرى بينها الحوار التالي:
— أمقاتل أنت هذا الرجل؟

— اي والله، قتالاً ايسره ان تطيح الأيدي، و تسقط الرؤوس.
— مالكم فيما عرض عليكم من خصال، تتركونه يرجع الى حيث أتى. أو يضرب في الأرض العريضة؟

— لو كان الأمر بيدي لفعلت... ولكن اميرك ابن زياد يأبى ذلك...
و كلمة «اميرك» — التي استعملها قائد القوات — كانت تعني ان الأمر «من فوق» و انك انت ايضاً احد المعنيين به.

و لقد كان في استطاعة الرجل ان ينهي معركته الداخلية و يستريح على الجريمة، مادامت الاوامر من فوق، و المأمور — كما يقول المجرمون الصغار — معذورا!

كان بإمكانه ان ينساق مع منطق قائد القوات...
«لو كان الامر بيدي لفعلت ولكن اميرك يأبى». كما يقول كل صناع
الجريمة في العالم من قوات الشرطة، والبوليس و الجنود الغزاة.
إلا ان ضمير الرجل لم يكن مسحوقاً الى هذه الدرجة فتبرير «الأمر من فوق»
لم يستطع اسكاته بسهولة.

«الأمر من فوق» وليكن من فوق؟
اميرك ابن زياد هو الذي يأبى... من اين جاء اميري؟
ولماذا علي ان اطيعه؟
ان عمر بن سعد يريد ان يدخل جهنم، فلما ذا اسير معه.
ظل سادراً في التفكير، واخذته — نتيجة الحوار الساخن مع الذات — رعشة
حادة — اثارت دهشة احد رفاقه في الجريمة، فبادره.
— ان امرك لمريب... فوالله لو سئلت عن اشجع اهل الكوفة لما
عدوتك... فاذا اصابك؟

فأجابه بجواب مقتضب لم يفهم الرجل مغزاه...
— اني ارى نفسي مخيرة بين الجنة والنار. فوالله لا اختار على الجنة شيئاً، و
ان قطعت و مزقت.
و بذلك انتصر على ذاته في اقوى نوازع الشهوة، وهي نازعة الحياة، و حقق
ثورة على الذات.

ولما انتصر في هذه الثورة، اصبح بإمكانه ان يثور في وجه الطغيان.
لقد اصبح طليقاً لا تقيدته سوى قناعته. و اصبح بإمكانه ان يتصرف حسبما
يمليه ضميره.

وهكذا... اتخذ قرار الانضمام إلى صفوف الثورة...
فضرب فرسه باتجاه نهر الفرات — ليموه الامر على جنوده — ثم لف نحو
معسكر الإمام، و هو يبكي من شدة الفرح، و الألم، ألم الماضي.. و فرح الحاضر.
لقد انتصرت فيه «الحرية» و يتحمل الآن مسؤولية نفسه بعيداً عن تدبير
الأوامر من فوق.

و عندما اقترب من خيمة الإمام كان ينادي:

— اللهم اليك أنبت. فتب علي، فقد اربعبت قلوب اوليائك واولاد نبيك .
وعندما وقف امام خيمة الإمام، كان رأسه منحنيّاً على سرج فرسه.. فبادره
الإمام:

— من انت؟

— انا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسأيرتك في الطريق، و
جعلت بك في هذا المكان.

وأضاف: — واللّه — الذي لا إله إلا هو — ما ظننت ان القوم يردون عليك
ما عرضته عليهم، ولا يبلغون بك هذه المنزلة، واني — جعلت فداك — قد جئتكَ
تائباً الى الله مما كان مني. فهل ترى لي من توبة؟

وكان جواب الحسين — ع — نعم يتوب الله عليك ... فانت الحر في
الدنيا، وانت الحر في الآخرة انشاء الله.

وهدأت روعة «الحر بن يزيد الرياحي» فقد انتصر في معركة الذات، وها
هو يقف مع الله والحق والحرية في معسكر الإمام، وتخلص من قرار الجريمة.
ولكن... بقي عليه ان يكفر عن جرمته.
فماذا يصنع؟

* * *

ان الحديث النبوي الشريف يقول: «إذا عملت سيئة، فأعمل حسنة
تمحوها».

وهو قد «عمل السيئة» وكانت سيئته كبيرة جداً، لأنها تسببت في محاصرة
جيش الكوفة للإمام.

فهو يتحمل عار قتل الإمام، اذا قُتل!

و العار لا يغسله غير الدم. ومادام ان الجريمة كبيرة، فلا بد ان يكون
«التكفير» بحجمه.

ولهذا فقد بادر الإمام، وعيناه مغروزتان في رمال الأرض...

— يابن رسول الله... كنت أول خارج عليك، فأذن لي ان أكون أول قتيل

بين يديك، فلعلي اكون ممن يصافح جدك محمداً غداً؟

— افعل ان شئت... فانت ممن تاب الله عليه وهو التواب الرحيم.

لحظات... وبعدها كان «الحر» يقف امام الجيش الذي تمرد عليه.
واندهش الجنود الذين كانوا إلى قبل لحظات جزءاً من اللواء الذي يقوده.
وقف في وسط الساحة، و ضرب برمح في الرمال، ثم اتكأ عليه، و صاح

فيهم.

— لأممكم الهبل و العبر.

«ادعوتم هذا العبد الصالح، حتى إذا جاءكم اسلتموه؟ و زعمتم أنكم قاتلوا
انفسكم دونه. ثم عدوتم عليه لتقتلوه: أمسكتم بنفسه، و أخذتم بكللكه، و أحطتم به
من كل جانب لتمنعوه التوجه إلى بلاد الله العريضة، فصار كالأسير في ايديكم، لا
يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضرراً... و حلأتموه «منعتموه» و نسائه، و صبيته عن
ماء الفرات الجاري — تشربه اليهود و النصارى و المجوس و تمرغ فيه خنازير السواد و
كلابه — و هاهم صرعى العطش؟

«بنسها خلفتم محمداً في ذريته... لا سقاكم الله يوم الضمأ ان لم تتوبوا و
تنزعوا عما انتم عليه من يومكم هذا و من ساعتكم هذه...»
و كانت خطبته هذه نداءاً للتمرد على جيش العدو... لأنه جيش لاضمير
له... يدعو الإمام لكي يدير نظام حياته و عندما يليه يدعو عليه ليقاتله.

و قد وجد «نداء التمرد» هذا من يتأثر به... فها هو ابن «الحر» يهرب من
صفوف العدو، و يلتحق بأبيه... ولكن العدو لا يتركه، بل يحيط به، و يدخل معه في
معركة عنيفة بالسلاح الأبيض.

حاول الحر أن يعين ابنه على العدو، ولكنه عندما هزم المجموعة التي أحاطت
به، كان ابنه جثة بلا حراك. فنظر اليه بفرح و قال:

— الحمد لله الذي رزقك الشهادة...

و هنا... تحرك وجدان رجل آخر — كان يخضن الحر أيضاً — و هو أخوه،
فعندما رأى مقتل ابن أخيه، و تمرده على الجريمة، أنفض ضميره، فhez فرسه، و
انطلق باتجاه «الحر».

كانت المجموعة التي قتلت ابن — الحر — قد عادت لتطويق «الحر» نفسه،
و مع هجوم أخيه — و كان قد جرد سيفه و رفع درعه — ظنت المجموعة انه ينوي
مقاتلة «الحر» فتركوا له المجال، لكي يتقاتل الاخوان فيما بينهم.

وفي لحظة رائعة من لحظات الايمان، وفيما كان الجيش ينتظر ان يمزق سيف
أحدهما جسم الآخر — التقى الاخوان فرفعا سيفيهما في السماء. وتعانقا بحرارة، كأنهما
يحتفلان بالحرية، وهما يتمردان على أوامر الأمير.
ثم بدءا معاً الهجوم المعاكس.
وسقط «الحر».
وسقط أخوه.. شهيدين في سبيل الله.
ولما حملوا جسم الحر إلى الإمام — وكان لا يزال به رمق — أخذ الإمام
يمسح الدم والتراب من وجهه، ويقول له:
— ما أخطأت أمك إذ سمتك حرّاً. انت الحر في الدنيا... وانت الحر في
الآخرة.

* * *

هل انتهت بطولة الرجل؟

لا...

فالبطولة «تسرى» وتصيب الذين تكون نفوسهم مستعدة لها.
وها هو «عبد» الحر — واسمه عروة — تسري فيه بطولة مولاه، فيتخذ قراره
بالتنرد على الجريمة، غير انه لم يكن في الصفوف الأمامية ليستطيع الالتحاق بالإمام.
فاكتفى بأن جرد سيفه، وأخذ يضرب يميناً وشمالاً مما أحدث ارتباكاً في صفوف
الجيش. حتى اتهمه بالجنون، وصاحوا.
— لقد جن الرجل... ألزموه... اضربوه...
واستمر «عروة» يقاتل... ويقتل... ويمدح الإمام فاحتشوه من كل
جانب، وقتلوه.
وهكذا...
غسلوا عار الخطيئة بالدم.

* * *

وهنا قصة أخرى من قصص البطولة... وفي الحقيقة فإن الأهم من قصة
الثورة: قصة رجالها، والأهم من قصة رجالها: قصة أخلاقهم.

فليس مهما انهم قاتلوا... وقتلوا. وانما المهم: انهم قاتلوا بأخلاق الانبياء
بينما قتلهم العدو بطريقة الوحوش.

وفي كل ساعات المعركة كانوا ينازلون مع العدو نزال «الصعدة بالنزلة».
كلما سقط العدو في الحيوانية ارتفعواهم في المناقبية.

و كتبوا بمواقفهم: قائمة بصفات المقاتل المسلم: لماذا يحارب؟ وكيف؟

* * *

عندما نظم الإمام صفوف الثوار. سلم البيرق الى أخيه من أبيه «أبي الفضل
العباس». وبذلك فرض عليه أن يكون آخر من ينزل الى المعركة. لأن البيرق يجب
ان يرفرف حتى آخر رجل.

كان عمره يومئذ خمساً واربعين عاماً. وكان غاية في الرشاقة والجمال،
حتى أن رفاقة أعطوه لقب «قربني هاشم» فلم يكن أجمل منه في العائلة كلها.
كان له دور رئيس الأركان في كل مراحل الثورة. فكان هو المعني بتنظيم
حركة القتال، وتشغيل الثوار. ومعالجة امورهم. كما كان هو المعني بقضايا النساء و
الأطفال.

و بقي مع الامام طيلة ساعات الحرب. لم يفارقه لحظة، ولم يتعد عنه إلا
لحاجات ضرورية.

وعندما انتهى كل رجال الثورة، وتحولوا من مقاتلين إلى جثث موزعة على
رمال الأرض، اشترك في هجوم مزدوج على العدو: هو هاجم على يمينه العدو، بينما
الحسين هاجم على يساره العدو...

ثم رجعا الى مقر القيادة...

وهنا حاول ان يحصل على اذن من الإمام بخوض معركة الشرف لينال
الشهادة، ولكن الإمام رفض.

كان الامام قائده، فكان عليه ان يلتزم بالأوامر... بعد فترة طلب مرة اخرى
من الامام الاذن. وقال فيما قال:

— اخي: لقد ضاق صدري من هؤلاء المنافقين، و اريد ان آخذ ثاري منهم.

و ألح على الامام.

فقال له الامام:

— ان كان ولا بدّ، فأطلب هؤلاء الأطفال و النسوة ماء...

فخرج العباس يفكر في طريقة الوصول الى نهر الفرات. كان النهر محاطاً بأربعة آلاف جندي انتشروا حوله. فكان عليه ان يسلك طريقاً فرعياً من بين النخيل ليضمن الوصول الى الماء...

ولكن كيف يُغفل العدو؟

جاء الى الميدان، و صاح في قائد الجيش:

— يا عمر بن سعد... هذا الحسين ابن بنت رسول الله قد قتلتم أصحابه، و أهل بيته، و هؤلاء عياله و اولاده عطاشى، فأسقوهم من الماء، فقد أحرق الضمأ قلوبهم.

فجاءه الجواب:

— يا بن أبي تراب... لو كان وجه الأرض كله ماء و هو تحت ايدينا لما سقيناكم منه قطرة الا ان تدخلوا في بيعة يزيد..!

و مع طلب الماء، اراد أن يفهم العدو انهم آيسين من الحصول عليه عن طريق استعمال السيف. و بذلك ضمن اخفاء خطته للحصول على الماء.

و بعد ذلك، خرج من وراء الخيام، و سلك طريقاً فرعياً ضيقاً بين النخيل، و فاجأ القوة المراقبة على النهر بهجوم صاعق شنه عليهم من وراء ظهورهم. فانكشفوا، و دخل نهر الفرات.

و بسرعة ملأ القربة التي كان يحملها.

ثم مدّ كفيه، و ملأهما بالماء، و قرّبه من فمه، و كاد أن يشرب. ولكنه تذكر...

تذكر عطش أخيه القائد. و تذكر عطش النساء و الأطفال.

فرمى الماء، و قفل راجعاً. و كان ينشد:

يا نفس من بعد الحسين هوني و بعده لا كنت ان تكوني
هذا حسين شارب المنون و تشربين بارد المعين
تالله ما هذا فعال ديني و لافعال صادق اليقين
انه لم يشرب وفاء للقائد، و مواساة للصغار
ولكن ماذا لو كان يشرب؟

تا الله ما هذا فعال ديني ولا فعال صادق اليقيني ولم يشرب من الماء وفاء
 للقائد، ومواساة مع الصغار، ولكن ماذا لو كان شرب؟
 حتماً لم يكن يحدث شيء. ولكن اسماءك النهر لم تكن تشهد له — بعد ذلك
 — بعظمة الأخلاق. ولا كان الانسان يذكره كأعظم مقاتل عرفه تاريخ الوفاء.
 ان التزامه بدينه، وقناعته بمناقبية القتال دفعته الى ان يخرج من النهر كما
 دخل: عطشاً الى حد بعيد.
 لم يفكر كثيراً في ان يشرب. فقد تحوّل همه في أن يوصل القربة إلى خيام
 الامام...

كان يلف حول النخيل، ويدور حولها، وهو يحاول التخفي من العدو.
 ولكن كثرة جنود العدو، منعتهم من الانفلات فقد حاصروه بين مجموعة
 نخيل. ودخلوا معه في المعركة.
 فأنشد يقول:

لا أرهب الموت إذا الموت رقا حتى أوارى في المصاليات لقا
 نفسي لنفس المصطفى الطهر وقا اني أنا العباس اغدوا بالسقا
 ولا اخاف الشر يوم الملتقى

كانت معركته معهم معركة الشرف مع النذالة. معركة الحق مع الباطل. معركة
 الرجولة مع الجبن. والتناقض الذي كان بين موقفه وموقف العدو كان يثير الانتباه:
 فالعباس كان يطلب الماء للأطفال. وهم كانوا يطلبون البيعة للنظام!
 وهو كان يحارب لأجل العدل وقيم الحق. وهم كانوا يحاربون لأجل
 الحطام.

المهم: انه كان يقاتل. ويزأر ويتقدم...
 غير أن العدو كمن له من وراء النخيل، وبطريقة غادرة قطع أحدهم يده
 اليمنى من الكنف فالتقط السيف باليسار وبدأ يلاحقهم.
 وكان ينشد:

والله إن قطعتموا يميني اني احامي أبداً عن ديني
 وعن إمام صادق اليقين سبط النبي الطاهر الأمين!
 وهذه منطلقاته: انه لا يحامي عن العشيرة. ولا عن المصلحة. ولا عن الدنيا

كلها، وإنما يحامي عن دينه.
و انه لا يدافع عن الأخ، وإنما يدافع عن الامام القائد، الواعي، الصادق
اليقين.

و مادام انه يحامي عن الشريعة، والقيادة، فهو لن يلين بقطع يمينه، و سيظل
يقاتل... و يقاتل... و يقاتل.

و ظل يدور حول نفسه.

و يضرب بالسيف.

و يتقدم...

و مرة اخرى كمنوا له وراء نخلة، و اسقطوا هذه المرة يده اليسرى من الزند.
فالتفت الى القربة. رآها لا تزال سليمة، فحطها على قربوس الفرس، بينما
امسك عنقها بأسنانه.

و كان ينشد:

يا نفس لا تخشي من الكفار و أبشري بنعمة الجبار
قد قطعوا ببغيم يساري فأصلهم يارب حر النار!
لم يُصب العباس باليأس رغم انهم قطعوا يديه. ولكنه كان يعرف انه ليس
بعيداً عن الشهادة. و لذلك كان يبشر نفسه:
«بنعمة الجبار».

انه مطمئن إلى نعمة الله، لانه يقاتل الظالمين، فهو اذن يدافع عن العدالة.
ولا بد ان تناله «نعمة» الله العادل في الحياة.

كانت يده تنزفان دماً... ولكنه لم يكن يحس بها، لانه كان يريد الوصول
في اقرب وقت إلى الخيام. و كان أمله في القربة التي يحملها مشدوداً بجبل القربة
الذي كان معلقاً على رقبته.

ولكن هذا الأمل لم يدم طويلاً، فقد رماه العدو بالسهم، و اصاب القربة
سهم، و اريق الماء...

و هنا توقف العباس... و أحس بالآم يديه. احس ان كل قطعة من جسمه
تؤله...

كان الماء ينشف في رمال الأرض بينما كان صوت اطفال الامام يرتفع:

العطش، العطش. الماء، الماء.

.. وفيما كان واقفاً مدهوشاً مما حدث، جاءه عمود على رأسه، وأصابه سهم في عينه. ووطعته جندي في ظهره، فسقط على الأرض.

وسقط معه البيرق.

كان الامام آنذاك يراقب تحركات العباس من خلال رأس البيرق الذي كان يدور بين النخيل، ولما سقط البيرق عرف الامام حقيقة ما حدث، فأسرع إلى مصرعه.

ولكن عندما وصل كان العباس يجود بنفسه. فسمع صوت قادم: ظنه العدو جاء ليحتز رأسه، لان عينه اليمنى كانت ممزقة بسهم، وعينه اليسرى كانت ممتلئة بالدم، فقال:

— يا هذا.. بالله عليك أمهلني حتى اودّع أخي!.

ومع الدموع أجابه الامام:

— فذاك اخوك انا اخوك ...

ورمى بنفسه على الأرض، وحاول أن يحمله إلى الخيام ليموت إلى جنب اخوته، وبني عمه. ولكنه التمس الامام أن يتركه حيث هو. ولما سأله الامام عن السبب قال:

— أخي.. لقد وعدت سكينه و الأطفال بالماء ولا اريد ان يروني فيتذكروا الوعد...! و طارت روحه الى الجنة.

* * *

يقول شهود عيان: «ان بيرق الحسين لما حمل إلى يزيد، ونشروه أمامه لم يجد فيه موضعاً سالماً من السهام، إلا موضع قبضة الكف التي كانت تمسك به». ولما سئل يزيد: من كان يحمل لواء الحسين، فقليل له العباس. قال: — ابنت اللعن يا أبا الفضل... هكذا يصنع الأخ لأخيه!

* * *

لقد سئل الامام الحسين عليه، عن سر حمله للنساء معه الى كربلاء؟

فقال: شاء الله ان يراهن سبايا!

ترى هل كان الامام متعمدا لاذقة نسائه و اخواته و بناته السي، ام ان في

المسألة امراً آخر؟

يبدو ان الامام الحسين اراد ان يؤكد، ان المرأة الضعيفة التي كانت طعمة للوأة في الجاهلية القديمة، والجاهلية الحديثة، ان هذه المرأة بإمكانها ايضا ان تصنع البطولة، و ان تقاوم الظلم و تقض مضاجع الظالمين.
و قد اراد ان يقول:

ان لكل ثورة جانبين، جانب الرسالة، وجانب الدم، و قد قدم الحسين: الدم، بينما حملت المرأة: الرسالة .

و المرأة — اية امرأة — باستطاعتها ان تتحمل مسؤولية الكلمة، كما قامت بذلك زينب(ع)، بل ان باستطاعة المرأة ان تتحول الى «وزارة اعلام» للثائرين.
و قد اراد ان يقول ايضا:

ان الثورة من واجب الرجال، الا ان انتهاءهم يجب ان لايعني توقف الثورة، و انما استمرارها عبر النساء.

لذا فان مهمته — عليه السلام — قد انتهت في اليوم العاشر من محرم عند ما سقط على بوغاء كربلاء، لتبدأ مباشرة مسؤولية زينب — عليها السلام — في الثورة.
و ان هذه الرؤية الثورية، تعطينا درسا في التحرك الثوري ضد الطغاة، فالثورة لا تتوقف ابدا، و اذا دخل الثائر السجن، او استشهد فان اكمال مسيرة الثورة، ينتقل الى كتف أمه او زوجته أو اخته، او ابنته...

لقد قتل من اخوة زينب ثمانية عشر، و قتل اولادها الأربعة ايضا، و حينما سقط الامام الحسين(ع) و هجم العدو على المحيم، و احرق الخيام على من فيها، و سحقوا خمسين طفلا و طفلة من عائلة الامام الحسين(ع) فان زينب — ع — لم تستسلم بل بقيت شاحخة كالطود، فهي لم تتحمل على كتفها مسؤولية الأسرى و الاطفال فحسب، و انما حملت رسالة الدماء التي اريقت في كربلاء ايضا.

ان اول ما كان يريده العدو بعد قتله — للامام الحسين — ع —، اخفاء الامام جسدا و قضية، و لقد سحقوا جثة الامام بحوافر خيلهم، لكي تتناثر اعضاء الامام، و لايبقى لها اثر، ولايقام لها قبر فيختنى قبر الامام و من ثم قضيته.

و عرفت زينب(ع) ما يرمي له العدو، فجاءت تمر على جثث الشهداء، حتى وصلت الى الجثمان الشريف لسيد الشهداء، فرمت بنفسها على بقايا الجثمان،

لتعلن للتاريخ: أن هاهنا سقط ابو عبد الله الحسين—ع—، وهنا موضع قبره، وهنا راية الثورة!

ثم قالت بقوة الابطال، موجهة خطابها الى معسكر ابن سعد الذي بلغ نشوة الانتصار:

«ولينصبن على قبر ابي عبدالله علم، وليجتهدن ائمة الضلال على طمسه، فلا يزداد الا انتشارا...».

هذا هو الدور البطولي الكبير الذي قامت به سيدة النساء زينب (ع)، في لحظة تاريخية حالكه، فاستطاعت بذلك ان ترفع راية الثورة على مر الاجيال، و ان تفوت على يزيد و جلاوزته، اكبر مؤامرة كادت ان تحدث في التاريخ، ضد قضية الشهيد.

وليس هذا فحسب، بل و انها و اخواتها، سجلن في كل بقعة انتشر فيها النظام القاتل، ادانة لهذا النظام.

ولو لم تكن تسبى هذه النسوة الطاهرات، لأمكن القول ان الثورة كانت تخنق في كربلاء حينها، و كانت ستصل مشوشة للناس فيما بعد.

لكن السبي سمح لحاملات رسالة عاشوراء، ان ينثرن القضية حية، كما حدثت يوم عاشوراء، و بذلك استطعن ان يوجهن الضربات القاضية، لنظام يزيد، و نشر رسالة الثورة.

ولهذا حمل الامام الحسين عائلته معه، و من اجل ان تعرف كل امرأة اليوم: انها ليست خارج دائرة المسؤولية، و ان الزوجة، و الاخت، هن الذين صنعن الجانب المكمل لثورة عاشوراء... و عليهن اليوم تقع مسؤولية اكمال ثورات الرجال.

* * *

وماذا ايضا عن المواقف البطولية للمرأة في عاشوراء؟
هنا صورتان للبطولة تتداخلان في بعضها، واحدة لطفل، و اخرى لامرأة تربطها اصرة الامومة بهذا الطفل...

و طالما كانت القضية عادلة فان صفاء الروح يزداد اتساعا الى درجة ان تبحث هذه «الام» والتي لا تملك غير وليد واحد... تبحث عن قلادة الشهادة لكي تعلقها على جبينه...

ترى.. ما اجل ان يؤمن الانسان بقضية عادلة.

* * *

كان عمره: أقل من أحد عشر عاماً...

طوله: أقل من طول سيف مستقيم — إذا ركز على الأرض.

ملاحه... تحكي عن هدوء، وتصميم، وبطولة...

رأته بعض النساء، وهو يلبس الخوذة، ويحمل على ظهره السيف، ويمشي

كالأبطال المنتصرين باتزان عظيم.

اقترب من إحداهن، وسألها: أين خيمة الحسين؟

كان الامام — حينئذ — داخل خيمة القيادة، يراقب سير المعارك... فدلته

المرأة اليه... وسرعان ما اختفى بين الخيام... بينما كانت المرأة تلاحقه بنظراتها.

ترى: ما ذا يريد من الحسين؟

هل سيطلب ماءً؟

وماذا سيقول له الحسين؟

إذا كان يريد الماء، فما معنى السيف الذي يتقلده، بينما هو يخطط على الأرض

خطوطاً عرجاء كأنها الأفعى؟

هل يريد أن يقلد الكبار في حمل السيف؟

بكل رباطة جأش دخل خيمة الامام... فضمه الحسين إلى صدره، وبادرة:

— ماذا تريد يا بني؟

— الاذن...

— الاذن؟ الاذن في ماذا؟

— أبا عبد الله... لقد قتل أبي في المعركة... وأريد أن أقاتل القوم، فأذن

لي.

كانت نبراته هادئة... وكان تلهفه للحصول على رخصة الحرب شديداً،

كأنه عريس يبحث عن غرفة الزفاف.

نظر اليه الامام طويلاً، فانزلت عيناه إلى خديه الممتلئين دماء إلى قده، إلى

السيف الذي بدا وكأنه أطول منه، إلى رجله الخافيتين. ثم قال (ع) لمن حوله:

— هذا قتل أبوه في المعركة... وأخشى أن لا ترغب امه في القتال... و

لكنه بادراً قاتلاً:

— سيدي.. إن امي هي التي قلدتني حائل سبني... وأمرتني بذلك...

فامتلاأت عينا الامام... بالدموع... وقال:

— بارك الله فيكم...

و اعتبرها الطفل اذناً له... فانحدر إلى الساحة مهرولاً...

وسمعة العسكر يقول — وهو يهجم على العدو:

أميري حسين ونعم الأمير... سرور فؤاد البشير النذير...

له طلعة مثل شمس الضحى له غرة مثل بدر منير

علي و فاطمة والداه... فهل تعلمون له من نظير؟

* * *

هل كانت هذه الانشودة من صناعته؟

أم أن امه هي التي صنعتها... ثم حفظها هو؟

لم يعرف أحد...

إنما الذي عرفوه... إن هذا الطفل... حارب مثل الكبار... وردد انشودة

الحرب من الكبار... وحتى موته جاء مثل موت الكبار...

فقد قطعوا رأسه... ورموا به إلى معسكر الإمام...

كأنهم بذلك أرادوا أن يحزنوا امه... أو ينكلون بها لكي تكون عبرة لبقية

النساء.

ولكن الام كانت فوق أن يهد من عزيمتها رأس ابنها المقطوع...

إن إيمانها بعدالة قضيتها كان يزداد صفاءً وهي تقدم هذا الطفل قرباناً على

طريق الله والحق... والعدل.

إن رأس ابنها المقطوع كان يعني لها: قنديل شهادة، ولذلك فانها امسكت

بالرأس، وكان الدم لا يزال يتدفق منه بجمرة، وأخذت تمسح عنه التراب وتقول:

— أحسنت يا نور عيني...

أحسنت يا سرور فؤادي...

ثم رمت به إلى جانب معسكر العدو... وحملت عموداً للخيمة، وانحدرت

نحو الساحة وكانت تصيح:

أنا عجوز في النساء ضعيفة... خاوية... بالية... نحيفة...
أضربكم بضربة عنيفة... دون بني فاطمة الشريفة...
لما ذا رمت الرأس إلى معسكر العدو؟

— ربما لكي يعرفوا أن الايمان يصنع المعجزات... فيجعل الام تقا تل برأس
وليدها... في سبيل تحقيق إرادة الحق في الأرض...

و ربما لكي يحمل رأسه جنباً إلى جنب مع رؤوس الشهداء في كربلاء...
إلى الكوفة و الشام، فيزداد مجده، و يرتفع قدره... و ربما لأنها كانت تريد أن تقول:
أن الرأس الذي أهديته في سبيل الله لا أسترده.

* * *

و هكذا يصنع الايمان بالنفوس!

القسم الثاني

سيرة عاشوراء

كانت عاشوراء حدثاً من أحداث التاريخ الكبار... فقد تجلت فيها بطولات المؤمنين، كما برزت فيها جاهلية النفاق، في أبشع مظاهرها. وبمقدار ما كان عروج أهل البيت (ع) بقيادة الإمام الحسين، عظيماً، كان هبوط العدو في الحضيض عميقاً... ومن هنا فإن... سيرة عاشوراء، ليست صورة عن أحداث ومواقف تاريخية فحسب، بل هي مرآة. تعكس مصائر الرجال إذا آمنوا، وثاروا... ومصائر الأعداء حينما يخلدون إلى الأرض.. وفيما يلي، الأحداث اليومية، كما جرت في التاريخ، ومن دون رتوش، أو تعليق، فهي أوضح من أن تحتاج إلى شرح أو تعليق... ولقد استقيت هذه الحوادث من أكثر من مصدر، إلا أن مصدري الرئيسي كان «مقتل الإمام الحسين (ع)» للمرحوم السيد عبدالرزاق المقرم رحمه الله...

الفصل الأول

البدايات

إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً
ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح
في أمتي جدي ... الحسين بن علي (ع) (٤)

يزيد في سدة الحكم

مات معاوية بدمشق، للنصف من رجب، سنة ستين هجرية، وكان ابنه يزيد حينذاك في «حوران» فاخذ «الضحاح بن قيس» اكفانه، ورقى المنبر فقال: «كان معاوية سور العرب، وعونهم وجدهم، قطع الله به الفتنة!! وملكه العباد، وفتح به البلاد، الا انه قدمات، وهذه اكفانه، فنحن مدرجوه فيها ومدخلوه قبره، ومحلون بينه وبين عمله... ثم هو البرزخ الى يوم القيامة، فمن كان منكم يريد ان يشهد فليحضر»...

ثم صلى عليه ودفنه بمقابر باب الصغير، وارسل رسولا الى «يزيد» يعزیه بأبيه، ويطلب منه الاسراع في القدوم ليأخذ بيعة مجددة بين الناس.

فلما قرأ يزيد الكتاب...

سار الى دمشق فوصلها بعد ثلاثة ايام من دفن معاوية، وخرج الضحاح في جماعة لاستقباله، فلما وافاهم يزيد، جاء به الضحاح اولاً الى قبر ابيه فصلى عند القبر...

وكتب الى العمال في البلدان يخبرهم بموت ابيه، وقرهم على أعمالهم، وضم البصرة والكوفة الى عبيد الله بن زياد، بعد ان اشار عليه بذلك «سرجون» مولى معاوية... ثم كتب الى الوليد بن عتبة، وكان والى معاوية على المدينة يقول له:

— «اما بعد فان معاوية كان عبداً من عباد الله، اكرمه واستخلصه ومكن له ثم قبضه الى روحه وريحانه، ورحمته وعقابه، عاش بقدر، ومات بأجل، وقد كان عَهْدَ اليَّ و اوصاني بالحدز من «آل ابي تراب» فاذا ورد عليك كتابي هذا، فخذ البيعة على اهل المدينة»...

ثم ارفق الكتاب بصحيفة صغيرة جاء فيها: «خذ الحسين، وعبدالله بن عمر، وعبدالرحمن بن ابي بكر، وعبدالله بن الزبير، بالبيعة اخذاً شديداً، ومن ابي منهم فاضرب عنقه وابعث اليَّ برأسه»!!

فقام الوليد باستدعاء كل من الحسين، وابن الزبير، نصف الليل، رجاء ان يغتنم الفرصة بمبايعتهما قبل الناس، فوجدهما رسوله في مسجد النبي (ص) فارتاب ابن الزبير من هذه الدعوة التي لم تكن في الوقت الذي يجلس الوليد فيه للناس... فأبى الذهاب اليه... ولكن الحسين «عليه السلام» صار اليه في ثلاثين من مواليه و اهل بيته شاكين بالسلاح، ليكونوا على الباب فيمنعون عنه الأذى اذا علا صوته.. و سيده قضيب رسول الله (ص)، ولما استقر المجلس بأبي عبدالله (ع) نعى الوليد اليه سعاوية، ثم عرض عليه البيعة ليزيد فقال الحسين عليه السلام. «ان مثلي لا يبايع سراً فاذا دعوت الناس الى البيعة، دعوتنا معهم فكان امراً واحداً»...

فاقتنع الوليد منه، لكن «مروان بن الحكم» ابتدر قائلاً: ان فارقك الساعة و لم يبايع لم تقدر منه على مثلها، حتى تكثر القتلى بينكم، ولكن احبس الرجل حتى يبايع او تضرب عنقه...!

فصاح فيه الحسين: يا ابن الزرقاء انت تقتلني ام هو؟ كذبت واثمت.

ثم التفت الامام الى الوليد وقال: «ايها الأمير... أنا اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجل شارب الخمر، و قاتل النفس المحترمة ومعلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون و تنظرون وتنظرون ايناً احق بالخلافة...»

فاغلق الوليد في كلامه، وارتفعت الاصوات، فسمعه اصحاب الحسين (ع) فهجم منهم تسعة عشر رجلاً قد انتضموا خناجرهم واخرجوا الحسين الى منزله سالماً...

فقال مروان للوليد: عصيتني فوالله لا يمكنك على مثلها... فأجابه الوليد: و
بخ غيرك يا مروان!! اخترت لي مافيه هلاك ديني، أقتل حسيناً ان قال لا اباع؟!..
والله لا اظن ان امرء يحاسب بدم الحسين، الآ خفيف الميزان يوم القيامة ولا ينظر الله
اليه ولا يزكيه وله عذاب اليم!.

الهجرة الى بيت الله

في اليوم الثاني كان الامام الحسين يتهيأ للهجرة الى مكة، حتى يسبق الاحداث... بعد ان ترك وصيته يعلن فيها عزمه على التغيير والاصلاح مهما كلف الثمن، وقد جاء في الوصية.

«بسم الله الرحمن الرحيم - هذا ما اوصى به الحسين بن علي (ع) الى اخيه محمد بن الحنفية...»

«ان الحسين يشهد ان لا اله الا الله، وحده لا شريك له، وان محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عنده، وان الجنة والنار حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وان الله يبعث من في القبور...»

الا واني لم أخرج اشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، ما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي (ص) اريد ان آمر بالمعروف وانهي عن المنكر، واسير بسيرة جدي وابي علي بن ابي طالب، فمن قلبي بقبول الحق فالله اولي بالحق، ومن رد علي هذا اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين...

وقد تم مغادرة الامام للمدينة، باتجاه مكة بتاريخ ليلة الأحد، ليومين بقيا من رجب، ومعه بنوه واخوته وبنو اخيه الحسن واهل بيته وهو يقرأ: (فخرج منها خائفاً يترقب قال ربي نجني من القوم الظالمين).

ولزم الطريق الذي يسلكه عامة الناس، فقليل له لو تنكبَّ الطريق كما فعل ابن الزبير كيلا يلحقك الطلب...

فقال: «لا والله لا افارقه حتى يقضي الله ما هو قاض».

ودخل مكة يوم الجمعة لثلاث مضي من شعبان وهو يقرأ.

«ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل».

فنزل دار العباس بن عبد المطلب فبدأ أهل مكة ومن كان بها من المعتمرين، وأهل الآفاق يقدون إليه، ويستمعون إلى كلامه، بعد أن انتشر في كل مكان نبا غضبه على الحكم الجديد، ورفضه لمبايعة يزيد.

وفي مكة كتب الحسين (ع) رسالة واحدة في مضمونها إلى خمسة من رؤساء الإخماس بالبصرة، وهم «مالك بن مسمع البكري، والأحنف بن قيس، والمنذر بن الجارود، ومسعود بن عمر، وقيس بن الهيثم، وعمر بن عبيد بن معمر» وأرسلها مع مولى له يقال له سليمان، وجاء فيها:

(أما بعد فإن الله اصطفى محمداً (ص) من خلقه وأكرمته بنبوته واختاره لرسالته، ثم قبضه إليه وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به، وكنا أهله وأولياءه وأوصيائه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه، وقد بعثت رسولي اليكم بهذا الكتاب وأنا أَدْعُوكُم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فإن السنة قد أميتت والبدعة قد أحييت، فإن تسمعوا قولِي أهدكم إلى سبيل الرشاد).

وفي البصرة قام المنذر بن الجارود العبدي بتسليم رسول الحسين إلى ابن زياد، فطلبه عشية الليلة التي خرج في صبيحتها إلى الكوفة ليسبق الحسين إليها، وكانت ابنة المنذر زوجة لابن زياد، فزعم أن يكون الرسول دسيساً من ابن زياد، وأما الأحنف فانه كتب إلى الحسين يقول له (ع): أما بعد فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يقنونون.

وأما مسعود بن عمر فقد كتب للامام يقول: (أما بعد فقد وصل إلي كتابك، وفهمت ما ندبتني إليه ودعوتني له، من الأخذ بحظي من طاعتك والفوز بنصبي من نصرتك، وإن الله لم يخل الأرض قط من عامل عليها بخير ودليل على سبيل نجاة، وأنتم حجة الله على خلقه ووديعته في أرضه، تفرعتم من زيتونة أحمديّة هو أصلها وأنتم فرعها، فاقدم، سعدت بأسعد طائر، فقد ذلت إليك أعناق بني تميم، وتركتمهم أشدّ تتابعاً في طاعتك من الأبل الظماء لورود الماء يوم خمسها، وقد ذلت لك رقاب بني سعد وغسلت درن قلوبها بماء سحاب مزّن حين استهل برقها فلمع).

فلما قرأ الحسين (ع) كتابه قال: آمّنك الله من الخوف واعزك وارواك يوم العطش الأكبر...

رسائل من أهل الكوفة

و مع شياع خبر وصول الامام الى مكة، ورفضه لبيعة يزيد، في الامصار بدأت ترده رسائل كثيرة من الكوفة موقعة من قبل فرد او اثنين او ثلاثة او اربعة او اكثر من ذلك وكلها تطالبه بالقدوم اليهم، ليكون امامهم بعد ان اعلنوا رفضهم الخضوع لنعمان بن بشير والي يزيد على الكوفة، وتكاثرت عليه الرسائل حتى ورد عليه في يوم واحد ستمائة رسالة، واجتمع عنده من نوب متفرقة اثنا عشر الف رسالة وفي كل ذلك يشددون الطلب، وهولايحييهم، و آخر كتاب ورد عليه كان من «شيث بن ربيعي» و «حجار بن ابجر» و «يزيد بن الحارث»، و «عزرة بن قيس»، و «عمرو بن الحجاج» و «محمد بن عمير بن عطارد» وجاء فيها:

«ان الناس ينتظرونك لارأي لهم غيرك، فالعجل العجل يا ابن رسول الله فقد اخضر الجناب و اينعت الثمار، واعشبت الارض، وأورقت الاشجار فاقدم اذا شئت فانما تقدم على جندلك مجندة...»

جواب الحسين

ولما اجتمع عند الحسين ماملأ الخرجين من الرسائل، كتب اليهم رسالة دفعها الى «هاني بن هاني السبيعي» و«سعيد بن عبدالله الحنفي»، وكانا آخر الرسل اليه من اهل الكوفة. وجاء فيها:

(بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي، الى الملائمة المؤمنين و المسلمين، اما بعد... فان هانياً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كل الذي قصصتم وذكرتم، ومقالة جللكم: انه ليس علينا امام فاقبل لعل الله يجمعنا بك على الهدى والحق، وقد بعثت اليكم انجي وابن عمي وثقتي من اهل بيتي «مسلم» وأمرته ان يكتب اليّ بحالكم وامركم ورأيكم، فان كتب انه قد اجتمع رأي ملائمة وذوي الفضل والحجبي منكم على مثل ما قدمت عليّ رسلكم وقرأت في كتبكم، اقدم عليكم وشيكا انشاء الله، فلعمري ما الامام الا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله... و السلام).

ثم دفع الكتاب الى مسلم بن عقيل وقال له: اني موجهك الى اهل الكوفة وسيقضي الله من امرك ما يحب ويرضى...

مسلم بن عقيل مثل الامام الى اهل الكوفة

و بعث الامام الحسين مع مسلم بن عقيل (ع) «قيس بن مسهر الصيداوي» و «عمارة بن عبد الله السلولي» و «عبد الرحمن بن عبد الله الازدي» و امره بتقوى الله، والنظر فيما اجتمع عليه اهل الكوفة، فان رأى الناس مجتمعين مستوثقين عجل اليه برسالة يخبره فيها بأمرهم.

فخرج مسلم من مكة للنصف من شهر رمضان على طريق المدينة فدخلها و صلى في مسجد النبي (ص) و ودّع اهله، ثم استأجر رجلين ليدلاه على الطريق، فضيعا ذات ليلة الطريق، واصبحا تائهيين و قد اشتد بهما العطش و الحر، فقالا لمسلم عليه السلام و قد بان لهما سنن الطريق: عليك بهذا السمّ فالزمه لعلك تنجو فتركهما، و مضى على الوصف، و مات الدليلان عطشا.

و لخمس خلون من شوال، دخل الكوفة فنزل في دار «المختار بن ابي عبيد الشقفي»، و كان شريفا في قومه كريما... عالي الهمة، مقداما مجربا، قوي النفس شديدا على الاعداء، فجاء الناس الى مسلم في دار المختار يقدمون له الترحيب، و اظهروا له من الطاعة و الانقياد ما زاد في سروره و ابتهاجه فعندما قرأ عليهم كتاب الحسين (ع) قام عابس بن شبيب الشاكري و قال:

«اني لا اخبرك عن الناس ولا اعلم ما في نفوسهم، ولا اغرك بهم، والله اني احذثك عما انا موطن عليه نفسي، والله لأجيبنكم اذا دعوتهم، ولا قاتلن معكم عدوكم، ولا ضر بن بسيفي دونكم حتى القى الله، لا اريد بذلك الا ما عند الله».

و قال حبيب بن مظاهر:

«قد قضيت ما في نفسك بواجز من قولك، وانا والله الذي لا اله الا هو على

مثل ما انت عليه»

وقال سعيد بن عبدالله الحنفي مثل قولهما...
واقبل الناس يبايعونه حتى احصى ديوانه ثمانية عشر ألفاً... وقيل اكثر من ذلك...

فكتب مسلم الى الحسين (ع) رسالة بعثها مع عابس بن شبيب الشاكري يخبره باجتماع اهل الكوفة على طاعته وانتظارهم لقدمه وفيه يقول: (الرائد لا يكذب اهله وقد بايعني من اهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً فعجل الاقبال حين يأتيك كتابي).
وكان ذلك قبل مقتل مسلم بسبعة وعشرين ليلة وضم مع رسالته رسالة من اهل الكوفة وفيه: عجل القدوم يا بن رسول الله فان لك في الكوفة مائة الف سيف فلا تتأخر...

فساء هذا جماعة ممن لهم هوى في بني امية، منهم عمر بن سعد ابن ابي وقاص، وعبد الله بن مسلم بن ربيعة الحضرمي، وعمارة بن عقبة بن ابي معيط، فكتبوا الى يزيد يخبرونه بقدوم مسلم بن عقيل واقبال اهل الكوفة عليه، وان النعمان ابن بشير لا طاقة له على المقاومة.

فارسل يزيد الى «سرجون» موله يستشيريه وكان كاتبه واتيسه.

فقال سرجون عليك بعبيد الله بن زياد.

قال: انه لاخير عنده.

فقال سرجون: لو كان معاوية حياً و اشار عليك به اكنت توليه؟ قال نعم.

فقال: هذا عهد معاوية اليه بخاتمه، ولم يمنعي ان اعلمك به الا معرفتي ببغضك له فأنفذه اليه. وهكذا عزل يزيد النعمان بن بشير من ولاية الكوفة ونصب عبيد الله بن زياد مكانه وكتب اليه:

(اما بعد فان الممدوح مسبوب يوما، وان المسبوب يوماً ممدوح، وقد سمي بك

الى غاية انت فيها كما قال الأول:

رفعت وجاوزت السحاب وفوقه فما لك الا مرقب الشمس مقعد

وأمره بالاستعجال على الشخصوس الى الكوفة ليطلب مسلم بن عقيل، فيوثقه او يقتله او ينفيه.

فتمعجل ابن زياد المسير الى الكوفة في خمسمائة رجل انتخبهم من اهل

البصرة، فجد في السير وكان لا يلوي على احد يسقط من اصحابه...
ولما ورد القادسية لبس ثيابا يمانية، وعمامة سوداء وانحدر وحده وكلما مرّ
بالناس طنوا انه الحسين (ع) فكانوا يقولون له: مرحباً بابن رسول الله، وهو ساكت
فدخل الكوفة، مما يلي النجف.

واستقبله الناس بهتاف واحد: (مرحباً بابن رسول الله!)... فساءه هذا الحال
وانتهى الى (قصر الامارة) فلم يفتح النعمان باب القصر، واشرف عليه من اعلى
القصر يقول: ما انا بمؤد اليك امانتي يا بن رسول الله.!. فقال له ابن زياد افتح فقد
طال لي لك

فسمعها رجل من اهل القصر وعرفه، فقال للناس انه ابن زياد ورب الكعبة.
فتفرقوا الى منازلهم، وعند الصباح جمع ابن زياد الناس في الجامع الأعظم
وخطبهم وحذرهم ومناهم العطية وقال:
ايما عريف وجد عنده احد من بغية امير المؤمنين «يزيد بن معاوية» ولم
يرفعه الينا صلب على باب داره.

مسلم بن عقيل ينقل الصراع الى تحت الارض

ولما بلغ مسلم بن عقيل خطبة ابن زياد وعيده وظهر له حال الناس، خاف ان يؤخذ غيلة، فخرج من دار المختار بعد العتمة الى دار «هاني بن عروة المذحجي» وكان من اشراف الكوفة، وقرائها، وشيخ مراد، وزعيمها، وكان من خواص امير المؤمنين علي بن ابي طالب، وقد حضر حروبه الثلاثة وادرك النبي (ص) و تشرف بصحبته وكان له يوم قتله بضع وتسعون سنة.

وبدأ بعض الناس يزور مسلم بن عقيل، في دارهاني على تستر واستخفاء من ابن زياد، وتواصوا بالكتمان فخفي على ابن زياد موضع مسلم فدعا مولى له اسمه «معقل» واعطاه ثلاثة آلاف... وامره ان يلقي اصحاب مسلم ويعرفهم انه من اهل الشام وقد انعم الله عليه بحب اهل بيت رسوله.. وبلغه قدوم رجل منهم الى هذا المصر داعية للحسين، وان عنده مال يريد ان يلقاه ويوصله اليه، فدخل «معقل» الجامع الأعظم، ورأى مسلم بن عوسجة الاسدي يصلي، فلما فرغ دنا منه وقص عليه حاله، فدعا له مسلم بالخير والتوفيق، وادخله على ابن عقيل فدفع اليه المال وبايعه و سلمه الى «ابي ثمامة الصائدي» وكان بصيرا شجاعا ومن وجوه اصحابه، عينه مسلم لقبض ما يرد عليه من الاموال ليشتري به سلاحا.

فكان «معقل» يزور مسلم كل يوم فلا يحجب عنه شيئا ويتعرف الاخبار ويرفعها الى ابن زياد عند المساء، ولما وضع الأمر لابن زياد وعرف ان مسلم بن عقيل مختبئ في دارهاني بن عروة، دعا «اسماء ابن خارجة» و «محمد بن الاشعث» و «عمر بن الحجاج» وسالهم عن انقطاع هاني عنه، قالوا: المرض يمنعه، فلم يقتنع ابن زياد بعد ان اخبرته العيون بجلوسه على باب داره كل عشية، فركب هؤلاء الجماعة اليه، وسألوه المسير الى السلطان فان الجفاء لا يحتمله، وألحوا عليه

فركب بغلته وجاء الى ابن زياد ، ولما طلع عليه قال ابن زياد : (اتتك بخائن رجلاه)...

واضاف : والله لا تفارقني حتى تأتيني بمسلم .

قال : والله لو كان تحت قدمي مارفعتهما عنه ...

فاغلظ له ابن زياد وهدده بالقتل .

فقال هاني : اذاً تكثر البارقة حولك ...

وهو يظن ان قبيلة «مراد» تمنعه ، فأخذ بن زياد بظفيريته وقنع وجهه بالسيف حتى كسر انفه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته ، وجبسه عنده .

وبلغ عمر بن الحجاج ان «هانيا» قتل ، وكانت اخته روعة تحت هاني ، فأقبل في جمع من مذبح ، واحاط بالقصر فلما علم ابن زياد امر شريح القاضي ان يدخل على «هاني» ويعلمهم بحياته .

قال شريح لما رأي هاني صاح بصوت رفيع :

— يا للمسلمين ان دخل علي عشرة نقدوني .

«ولكني قلت لهم انه حي ، فحمد الله عمرو ، بن الحجاج وانصرف بقومه» !
ولما بلغ مسلم بن عقيل خبر اعتقال هاني صمم على الخروج ، قبل الأجل الذي بينه وبين الناس ، وأمر عبدالله بن حازم ان ينادي في اصحابه وقد ملأ بهم الدور حوله ، فاجتمع اليه اربعة آلاف ينادون بشعار المسلمين يوم بدر : (يا منصور... امت) !
واقبلوا نحو القصر فانسحب ابن زياد الى داخل القصر وغلق الابواب ولم يستطع المقاومة لأنه لم يكن معه حينئذ الا ثلاثون رجلا من الشرطة وعشرون رجلا من مواليه ، فأطل من في القصر على اصحاب مسلم وقال :
يا اهل الكوفة اتقوا الله ، ولا توردوا على انفسكم الهلكة ، فهذه خيول الشام قد قبلت ولقد ذقتموهم وجربتموهم .

ففرق هؤلاء الثلثمائة ، حتى ان الرجل كان يأتي ابنه واخاه وابن عمه فيقول له : انصرف والمرأة تأتي زوجها فتتعلق به حتى يرجع ..

فصلى مسلم «عليه السلام» العشاء بالمسجد ، ومعه ثلاثون رجلاً ، ثم انصرف ومعه ثلاثه ، ولم يمض الا قليل حتى لم يبق معه احد يذله على الطريق ، فنزل عن

فرسه ومشى متردداً في أزقة الكوفة لا يدري إلى أين يتوجه؟
ولما تفرق الناس عن مسلم وسكن لفظهم، ولم يسمع ابن زياد أصوات الرجال، أمر من معه في القصر أن يشرفوا على ظلال المسجد لينظروا هل كمنوا فيها، فكانوا يدلون القناديل ويشعلون النار في القصب ويدلون بها بالحبال إلى أن تصل إلى صحن الجامع، فلم يروا أحداً... فأعلموا ابن زياد وأمر مناديه أن ينادي الناس ليجمعوا بالمسجد، ولما امتلأ المسجد بهم رقى المنبر وقال:
«إن ابن عقيل قد أتى ما قد علمتم من الخلاف والشقاق، فبرأت الذمة من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به فله دينه، فاتقوا الله عباد الله وازموا طاعتكم وبيعتكم ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً»...

مقتل مسلم بن عقيل

وانتهى بابن عقيل السير الى دور «بنى جبلة» ووقف على باب امرأة يقال لها «طوعة» كانت واقفة على الباب تنتظر ولدها واسمه بلال، فاستسقاها مسلم فسقته، واستضافها فاضافته... بعد ان عرفها انه ليس له في المصر اهل ولا عشيرة، وانه من اهل البيت وهو مسلم بن عقيل... فادخلته غرفة غير التي يأوي اليها ابنها وعرضت عليه الطعام، ولقد عرف ابنها من كثرة الدخول والخروج لذلك البيت ان مسلم عندهم بعد ان حلف لها كتمان الأمر. وعند الصباح ذهب الولد الى ابن زياد واخبره بمكان مسلم طمعاً في الجائزة...

فأرسل «ابن الأشعث» في سبعين رجلاً، ليقبض عليه. ولما سمع مسلم وقع حوافر الخيل عرف بأنه قد أتى فعجل دعائه الذي كان مشغولاً به بعد صلاة الصبح، ثم لبس لامته وقال لطوعة: قد أدبت ما عليك من البر، وأخذت نصيبك من شفاعة رسول الله، ولقد رأيت البارحة عمي أمير المؤمنين في المنام وهو يقول أنت معي غداً... فخرج اليهم مصلتي سيفه وقد اقتحموا عليه الدار، فأخرجهم منها ثم عادوا اليه واخرجهم وهو يقول:

هو الموت فاصنع ويك ما انت صانع فانت بكأس الموت لا شك جامع
فصبراً لأمر الله جل جلاله فحكم قضاء الله في الحكم ذايح
فقتل منهم واحداً واربعين رجلاً...

وارسل «ابن الأشعث» الى ابن زياد يستمده بالرجال، فبعث اليه يلومه في ذلك، فقال «ابن الأشعث» لابن زياد: اتظن انك ارسلتني الى بقال من بقال الكوفة،

او جرمقاني من جرامقة الحيرة، وانما ارسلتني الى سيف من اسيا ف محمد بن
عبدالله، فمده بالعسكر.

ثم اشرفوا عليه من فوق ظهر البيت يرمونه بالحجارة، ويلهبون النار في اطنان
القصب و يلقونها عليه، فشد عليهم يقاتلهم في السكة و هو يرتجز بأبيات حمران بن
مالك...

وان رأيت الموت شيئا نكرا	اقسمت لا اقتل الا حرا
ويخلط البارد سخنا مرا.	كل امرء يوما ملاق شرا
اخاف ان اكذب او اغرا	رد شعاع النفس فاستقرا

مقتل هاني بن عروة المرادي

ثم انهم اخرجوا «هاني» الى مكان من السوق يباع فيه الغنم، وهو مكتوف فجعل يصيح: «وامذحجاه... ولامذحج لي اليوم، وامذحجاه واين مني مذحج»... غلما رأى ان احداً لا ينصره، جذب يده ونزعها من الكتاف، وقال: «اما من عصى او سكين او خنجر او عظم يدافع رجل عن نفسه».. ووثبوا عليه واوثقوه كتافا وقيل له: مدعنتك. فقال: ما انا بها سخي، وما انا بمعينكم على نفسي.

فضر به بالسيف مولى لعبيد الله بن زياد تركي، يقال له «رشيد» فلم يصنع فيه شيئا.

فقال هاني: الى الله المعاد اللهم الى رحمتك ورضوانك، ثم ضربه اخرى فقتله...

وامر ابن زياد بسحب مسلم وهاني بالحبال من ارجلهما في الاسواق و صلبهما بالكناسة منكوسين وأنفذ الرأسين الى يزيد فنصبهما في درب من دمشق. و كتب الى يزيد رسالة جاء فيها: اما بعد، فالحمد لله الذي اخذ لامير المؤمنين بحقه، وكفاه مؤنة عدوه، أخبر امير المؤمنين اكرمه الله ان مسلم بن عقيل لجأ الى دار هاني ابن عروة المرادي واني جعلت عليهما العيون ودست اليهما الرجال وكدتهم، حتى استخرجتهما وامكن الله منهما فضربت اعناقهما، و بعثت برأسيهما اليك مع هاني بن ابي حية الوادعي الهمداني، والزبير بن الارواح التميمي، وهما من اهل السمع والطاعة والنصيحة، فليسألها امير المؤمنين عما احب فان عندهما علماً وصدقاً وفهماً وودعاً والسلام!!

و كتب يزيد الى ابن زياد رسالة جاء فيها: اما بعد فانك لم تعد ان كنت كما

احب، عملت عمل الحازم، وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش، فقد اغنييت و كفيت
و صدقت ظني بك، ورأيي فيك، وقد دعوت رسوليك فسألتهم و ناجيتهم فوجدتهم
في رأيهم و فضلهم كما ذكرت، فاستوص بهما خيراً، و انه قد بلغني ان الحسين بن
علي قد توجه نحو العراق، فضع المناظر و المسالح و احترس على الظن و خذ على
التهمة»!!..

الفصل الثاني

الحسين
يخرج الى كربلاء

إني لا أرى الموت إلا سعادة
والحياة مع الظالمين إلا برماً..

الطاهر بن يحيى (ع)

لما بلغ الحسين ان يزيد انفذ «عمرو بن سعيد بن العاص» في عسكر وأمره على الحاج، وولاه أمر الموسم وأوصاه بالفتك بالحسين أينما وجد عزم على الخروج من مكة قبل اتمام الحج واقتصر على العمرة كراهية ان تستباح به حرمة البيت. وقبل ان يخرج قام خطيباً فقال:

«الحمد لله وما شاء الله، ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله.»

«خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني الى اسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه.»

«كأنني بأوصالي تقطعها عسلان الفلاة بين النواويس وكر بلا فيملأن مني اكراشاً جوفاً واجربة سغباً.»

«لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا اهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا اجور الصابرين.»

«لن تشذ عن رسول الله لحمته، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس تقر بهم عينه وينجز بهم وعده.»

«ألا من كان فينا باذلاً مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فاني راحل مصباحاً ان شاع الله تعالى.»

و كان خروجه (ع) من مكة لثمان مضين من ذي الحجة، ومعه اهل بيته ومواليه. اهل الحجاز والبصرة والكوفة الذين انضموا اليه أيام اقامته بمكة وأعطى كل واحد منهم عشرة دنانير وجلا يحمل عليه زاده.

ولم يبق بمكة أحد إلا حزن لمسيره، ولما أكثروا القول عليه انشد أبيات اخي الاوس
لما حذرته ابن عمه من الجهاد مع رسول الله (ص).

سأمضي وما بالموت عار على الفتى	إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً.
وواسى الرجال الصالحين بنفسه	وفارق مشجوراً وخالف مجرماً

ثم تلا قوله تعالى: «وكان امر الله قدراً مقدوراً»

الفرزدق بنى الرجال الصادقين

وفي الصفاح لقي الحسين (ع) «الفرزدق بن غالب» الشاعر الشهير فسأله عن خبر الناس خلفه.

فقال الفرزدق: قلوبهم معك والسيوف مع بني امية، والقضاء ينزل من السماء!
فقال أبو عبد الله (ع): صدقت لله الامر، والله يفعل ما يشاء وكل يوم ربنا في شأن ان
نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وان حال
القضاء دون الرجاء، فلم يعتد من كان الحق نيته والتقوى سريره»

الحاق زهير بن القين بقافلة الحسين

ولما نزل الحسين في زرود، نزل بالقرب منه زهير بن القين البجلي، وكان غير مشايخ له ويكره النزول معه، لكن الماء جمعهم في المكان.

وبينا زهير وجماعته على طعام صنع لهم، اذا اقبل رسول الحسين يدعو زهيراً الى ابي عبدالله (ع) فتوقف زهير عن الأجابة غير ان امرأته «دلهم بنت عمرو» حثته على المسير اليه وسمع كلامه.

فمشى زهير الى الحسين، وما اسرع ان عاد الى اصحابه فرحاً قد استبش وجهه و امر بفسطاطه وثقله فحول الى جهة سيد شباب اهل الجنة.

وقال لأمرأته: الحقى بأهلك فاني لا احب ان يصيبك بسبيي الآخير... ثم قال لمن معه: من احب منكم نصرة ابن الرسول (ص) والآ فهو آخر العهد، ! الآ ان زوجته رفضت ان تتركه، قائلة: خار الله لك، وأسألك ان تذكرني يوم القيامة عند جد الحسين عليه السلام.

وفي زرود ايضا اخبر الامام بقتل مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة، فاسترجع كثيراً و ترحم عليهما مرارا وبكى، وبكى معه الهاشميون وكثر صراخ النساء.

فقام له عبدالله بن سليم، والمنذر بن المشمعل الاسديان: ننشدك يا ابن رسول الله الا انصرفت من مكانك هذا فانه ليس لك بالكوفة ناصر!

الحسين يواصل المسيرة رغم الاخبار غير السارة

وفي منطقة الشقوق رأى الحسين رجلا مقبلا من الكوفة، فسأله عن اهل العراق
فاخبره انهم مجتمعون عليه.
فقال عليه السلام ان الأمر لله يفعل ما يشاء وربنا تبارك هو كل يوم في شأن، ثم
انشد:

فان تكن الدنيا تعدن فيسة	فدار ثواب الله اعلى وان بيل
وان تكن الاموال للترك جمعها	فابال متروك به المرء يبخل
وان تكن الارزاق قسما مقدرا	فقلة حرص المرء في الكسب اجل
وان تكن الابدان للموات انشئت	فقتل امرى بالسيف في الله افضل

مقتل رسول الحسين في طريق الكوفة

وفي منطقة «زباله» اخبر بقتل عبدالله بن يقطر، الذي أرسله الحسين الى مسلم بن عقيل، فقبض عليه «الحصين بن نمير» عميل عبيدالله بن زياد في القادسية وسرحه الى عبيدالله بن زياد، فأمره ان يصعد المنبر ويلعن الحسين ولكنه لما اشرف على الناس قال:

— «ايها الناس انا رسول الحسين بن فاطمة، لتنصروه وتؤازروه على ابن مرجانة.»

فأمر به عبيدالله فالتقى من فوق القصر، فتكسرت عظامه وبقي به رمق، فأثاه رجل يقال له «عبد الملك، بن عمير اللخمي» فذبحه، فاعلم الامام الحسين بذلك الناس واذن لهم بالانصراف فتفرقوا عنه يمينا وشمالا وبقي في اصحابه الذين جاؤوا معه من مكة... ، وانما تبعه خلق كثير من الاعراب لظنهم انه يأتي بلدا اطاعه اهله، فكره عليه السلام ان يسيروا معه الا على علم بما يقدمون عليه، وقد علم انه اذا اذن لهم بالانصراف لم يصحبه الا من يريد مواساته على الموت.

وسار من بطن العقبة حتى نزل منطقة «شراف» وعند السحر امر فتيانه ان يستقوا من الماء ويكثروا. وفي النهار سمع رجلا من اصحابه يكبر.

فقال الحسين: لم كبرت؟.

قال: رأيت النخل.

فانكر من معه ان يكون بهذا الموضع نخل، وانما هو اسنة الرماح واذان الخيل.

فقال الحسين: وانا اراه ذلك.

ثم سألهم عن ملجأ يلجأون اليه فقالوا هذه «ذوحسم» عن يسارك فهو كما تريد، فسبق اليه الحسين وضرب ابنيته.

وظلع عليهم الحر الرياحي مع الف فارس فوقف الحر واصحابه مقابل الحسين في حر الظهيرة.

فلما رأى سيد الشهداء ما بالقوم من العطش، أمر أصحابه ان يسقوهم ويرشفوا الخيل، فسقوهم وخيولهم عن آخرهم، ثم اخذوا يملأون القصاع والطساس ويدنونها من الفرس فاذا عب فيها ثلاثا او اربعا او خسا عزلت وسقي آخر حتى سقوا الخيل كلها. وكان «علي بن الطعان المحاربي» مع الحرفجاء آخرهم وقد اضر به العطش فقال له الحسين:

انخ الرواية (وهي الجمل بلغة الحجاز) فلم يفهم مراده فقال له: انخ الجمل، ولما اراد ان يشرب جعل الماء يسيل من السقاء فقال له الحسين.

— اخنث السقاء، فلم يدر مايصنع لشدة العطش، فقام (ع) بنفسه وعطف السقاء حتى ارتوى وسقى فرسه! ثم ان الحسين استقبلهم فحمدالله واثنى عليه وقال: «انها معذرة الى الله عزوجل واليكم، واني لم آتكم حتى أتتني كتبكم وقدمت بها عليّ رسلكم ان اقدم علينا فانه ليس لنا امام، ولعل الله ان يجمعنا بك على الهدى، فان كنتم على ذلك فقد جئتكم فاعطوني ما اطمئن به من عهودكم ومواثيقكم، وان كنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذي جئت منه اليكم» فسكتوا جميعا، ولم يجيبوا بشي!

و اذن الحجاج بن مسروق الجعفي لصلاة الظهر. فقال الحسين للحمر: اتصلي بأصحابك قال: لابل نصلي جميعا بصلاتك، فصلى بهم الحسين.

وبعد ان فرغ من الصلاة اقبل عليهم فحمدالله واثنى عليه وصلى على النبي محمد و قال:

«يا ايها الناس انكم ان تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله، يكن ارض الله، ونحن اهل بيت محمد (ص) اولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدعين ماليس لهم، والساثرين بالجرور والعدوان، وان ابتم الا الكراهية لنا والجهل بحقنا وكان رأيكم الآن على غير ما اتتني به كتبكم، انصرفت عنكم».

فقال الحمر: مادري ماهذه الكتب التي تذكرها!! فأمر الحسين «عقبة بن سميان» فاخرج خرجين مملوئين كتباً.

قال الحمر: اني لست من هؤلاء الذين كتبوا لك، واني أمرت ان لا افارقك اذا لقيتك

حتى أقدمك الكوفة على ابن زياد.

فقال الحسين: الموت أدنى إليك من ذلك، وأمر أصحابه بالركوب وركبت النساء فحال بينهم وبين الانصراف إلى المدينة.

فقال الحسين للحر: ثكلتك أمك ما تريد منا؟.

«فقال الحر خذ طريقاً نصفاً بيننا لا يدخلك الكوفة ولا يردك المدينة، حتى أكتب إلى ابن زياد فلعل الله أن يرزقني العافية ولا يبتليني بشيء من أمرك.

ثم قال للحسين: إني أذكرك في نفسك فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن.

فقال الحسين: أقبال الموت تخوفي وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني، وسأقول ما قال أخو الأوس لابن عمه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى	إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً
وواسى الرجال الصالحين بنفسه	وفارق مثبوراً وخالف مجرمًا
فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم	كفى بك ذلاً أن تعيش وترغماً
فلما سمع الحر هذا منه تنحى عنه، فكان الحسين يسير بأصحابه في ناحية والحروم معه في ناحية	

وفي البيضة خطب في أصحاب الحر فقال بعد الحمد لله والثناء عليه:
— أيها الناس إن رسول الله قال: «(من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله)».

«ألا وإن هؤلاء قد لزموا الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالنهي واحلوا حرام الله وحرّموا حلاله وأنا أحق من غير،.

«وقد أتتني كتبكم وقدمت علي رسلكم ببيعتمكم، أنكم لا تسلموني ولا تحذلونني، فإن أتممت علي بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله، نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم، ولكم في أسوة، وإن لم تفعلوا و نقضتم عهدكم وخلعتكم بيعتي من أعناقكم، فلمعري ما هي لكم بنكر ولقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، فالمرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم ونصيتكم ضيعتم، و

من نكث فانما ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
وفي القادسية قبض الحصين بن نمير التيمي على قيس بن مسهر الصيداوي رسول
الحسين الى أهل الكوفة، وكان ابن زياد امره ان ينظم الخيل ما بين القادسية الى خفان
ومنها الى القطقطانة، ولما أراد ان يفتشه اخرج قيس الكتاب وخرقه، وجيء به
الى ابن زياد.

فقال له: لماذا خرقت الكتاب؟

قال لثلاث تطلع عليه فأصر ابن زياد على ان يخبره بما فيه فأبى قيس فقال اذا اصعد
المنبر وسب الحسين وأباه وأخاه والاقطعتك اربا .
فصعد قيس المنبر فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي وآله، واكثر من الترحم على
امير المؤمنين والحسن والحسين ولعن عبيد الله بن زياد واباه وبني أمية ثم قال .
أيها الناس أنا رسول الحسين اليكم وقد خلفته في موضع كذا فأجيبوه .
فأمر ابن زياد ان يرمى من أعلى القصر، فرمي، وتكسرت عظامه ومات

كيف تمت السيطرة على الكوفة؟

وفي عذيب المجاننات وافاه أربعة نفر خارجين من الكوفة على رواحلهم وسألهم الحسين عن رأي الناس، فأخبروه بأن الاشراف عظمت رشوتهم وقلوب ساير الناس معه والسيوف عليه ثم اخبروه عن قتل «قيس بن مسهر الصيداوي».

فقال عليه السلام: منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا. اللهم اجعل لنا ولهم الجنة واجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك ورغائب مذكور ثوابك.

الحسين في كربلاء

ولما كان آخر الليل أمر فتياه بالاستقاء والرحيل وبينما يسرون اذسمعوا الحسين يقول:

—انا لله وانا اليه راجعون والحمد لله رب العالمين» وكرره عدة مرات، فسأله علي الأكبر عن استرجاعه.

فقال: اني خفقت برأسي فعنّ لي فارس وهو يقول:

القوم يسرون والمنايا تسيرهم، فعلمت انها انفسنا نعت الينا.

فقال علي الأكبر: لأراك الله سوءاً ألسنا على الحق؟

قال بلى والذي اليه مرجع العباد.

فقال: يا ابت اذن لانبا لي أن نموت محقين!

فقال (ع): جزاك الله من ولد خير ما جرى ولداً عن والده.

ولم يزل الحسين يتياسر الى أن انتهى الى نينوى واذ بهم يلتقون براكب قادم من الكوفة. وعليه السلاح فانتظروه، واذ هورسول ابن زياد الى الحرمه كتاب يقول فيه:

«جمعع بالحسين حين تقرأ كتابي، ولا تنزله إلا بالعراء على غير ماء وغير

حصن»...

والتفت الحسين الى الحر وقال: سر بنا قليلا فसारوا جميعاً حتى اذا وصلوا أرض كربلاء فوقف الحر وأصحابه أمام الحسين (ع) ومنعوه عن المسير وقالوا: ان هذا المكان قريب من الفرات...

رسالة ابن زياد الى الحسين!

وبعث الحر الى ابن زياد، يخبره بنزول الحسين في كربلاء فكتب ابن زياد الى الحسين رسالة جاء فيها:

«أما بعد يا حسين فقد بلغني نزولك كربلاء، وقد كتب إلى أمير المؤمنين يزيد أن لا أتوسد الوثر، ولا أشبع من الخمير أو الحنك باللطيف الخبير، أوتنزل على حكي وحكم يزيد والسلام.»
ولما قرأ الحسين الكتاب رماه من يده وقال:
لا أفلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق!

وطالبه الرسول بالجواب

فقال: ماله عندي جواب لأنه حقت عليه كلمة العذاب!

وأخبر الرسول ابن زياد بما قاله أبو عبد الله (ع)، فاشتد غضبه وأمر عمر بن سعد بالخروج الى كربلاء، وكان معسكراً (بحمام أعين) في أربعة آلاف ليسير بهم الى «دستى» لأن الديلم، قد غلبوا عليها وكتب له ابن زياد عهداً بولاية الروم وثمر دستى والديلم، فاستغفاه ابن سعد ولما استرد منه العهد استمهله ليلته وجمع عمر بن سعد نصحاءه فنهوه عن المسير لحرب الحسين وقال له ابن اخته حمزة بن المغيرة بن شعبة:

«أنشدك الله ان لا تسير لحرب الحسين فتقطع رحمك، وتأثم بربك فوالله لن نخرج من دنيك و مالك و سلطان الارض كله لو كان لك لكان خيراً لك من ان تلقى الله بدم الحسين.

فقال ابن سعد: أفعل ان شاء الله.

وبات ليلته مفكراً في امره وسمع يقول:

اءترك ملك الري والري رغبتى
وفي قتله النار التي ليس دونهما
حجاب، وملك الري قرة عيني
وعند الصباح أتى ابن زياد وقال:

— انك وليتني هذا العمل (اي الذهاب لمقاتلة الديلم في الري) وسمع به الناس

فأنفذني له وابعث الى الحسين من لست أغنى في الحرب منه، وسمى له اناساً من شراف الكوفة.»

فقال ابن زياد:

—:لست استأمرك فيمن أريد ان أبعث، فان سرت بجندنا وإلا فابعث الينا عهدنا. فلما رآه ملحاً قال: إني سائر فأقبل في أربعة آلاف وانضم اليه الحرفيمن معه. ودعا عمر بن سعد عزرة بن قيس الاحمسي وأمره أن يلقى الحسين ويسأله عما جاء به فاستحيا عزرة لأنه ممن كاتبه، فسأل من معه من الرؤساء أن يلقوه، فأبوا لأنهم كاتبوه.

ابن زياد يعيب الناس لمقاتلة الحسين (ع)

وجمع ابن زياد الناس في جامع الكوفة فقال .
«أيها الناس إنكم بلوتم ال أبي سفيان فوجدتموهم كما تحبون، وهذا امير المؤمنين
يزيد قد عرفتموه حسن السيرة محمود الطريقة، محسناً الى الرعية يعطي العطاء في حقه، و
قد امننت السبل على عهده وكذلك كان ابوه معاوية في عصره، وهذا ابنه يزيد يكرم
العباد ويغنيهم بالأموال، وقدزادكم في أرزاقكم مائة، وأمرني ان اوفرها عليكم و
أخرجكم الى حرب عدوه الحسين فاسمعوا له وأطيعوا.»

وبعد هذه الخطبة بدأ يحجر الناس بالترهيب والترغيب لمقاتلة الامام، ومن ثم فقد
بدأت الجيوش تتجه نحو كربلاء...

فخرج الشمر في اربعة آلاف ويزيد بن الركاب في الفين، والحسين بن نمير
التميمي، في اربعة آلاف وشيث بن ربعي في الف، وكعب بن طلحة في ثلاثة آلاف،
وحجار بن ابجر في الف، ومضاير بن رهيئة المازني في ثلاثة آلاف، ونصر بن حرشة في
الفين، فتكامل عند ابن سعد لست خلون من المحرم عشرون الفا ولم يزل ابن زياد يرسل
العساكر الى ابن سعد حتى تكامل عنده ثلاثون الفا.

وقيل اكثر من ذلك ايضا...

وانزل ابن سعد الخيل على الفرات، فحموا الماء وحالوا بينه وبين سيد الشهداء، ولم
يجد اصحاب الحسين طريقا الى الماء حتى اضرهم العطش، فأخذ الحسين فأسا وخطا
وراء خيمة النساء تسع عشرة خطوة نحو القبلة وحفر فنبعت له عين ماء عذب فشربوا ثم
غارت العين ولم ير لها اثر، فأرسل ابن زياد الى ابن سعد:

—:بلغني ان الحسين يحفر الابار، و يصيب الماء فيشرب هو واصحابه فانظر اذا ورد
عليك كتابي فامنهم من حفر الآبار ما استطعت وضيق عليهم غاية التضييق.

الحسين ينزل كربلاء

و كان نزوله في كربلاء في الثاني من المحرم سنة احدى وستين، فجمع (ع) ولده و اخوته و أهل بيته و نظر اليهم و قال:

«اللهم انا عترة نبيك محمد قد اخرجنا و طردنا و ازعجنا عن حرم جدنا، و تعدت بنو أمية علينا، اللهم فخذلنا بحقنا و انصرنا على القوم الظالمين.»
واقبل على أصحابه فقال:

«الناس عبيد الدنيا، و الدين لعق على السنتهم يحوطونه مادرت به معاشهم فاذا حصوا بالبلاء قلّ الديانون.»

ثم حمد الله و اثني عليه و صلى على محمد و آله و قال:
«أما بعد فقد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، و ان الدنيا قد تغيرت و تنكرت و أدبر معروفها، و لم يبق منها الا صباة كصباة الأبناء، و خسيس عيش كالمرعى الويل.»
«ألا ترون الى الحق لا يعمل بعمالي الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله!
محققاً فاني لأرى الموت الاسعاده و الحياة مع الظالمين إلا برماً.»
فقام زهير و قال: سمعنا يا بن رسول الله مقاتلك و لو كانت الدنيا لنا باقية و كنا فيها مخلدين، لا ثرنا النهوض معك على الاقامة فيها.»
و قال برير: «يا بن رسول الله لقد بك علينا أن نقاتل بين يديك تقطع فيك أعضاؤنا ثم يكون جددك شفيعنا يوم القيامة.»

و قال نافع بن هلال:

«أنت تعلم ان جددك رسول الله، لم يقدر أن يشرب الناس محبته و لا أن يرجعوا الى أمره ما أحب، و قد كان منهم منافقون يعدونه بالنصر، و يضمرون له الغدر، يلقونه بأحلى من العسل و يخلفونه بأمر من الخنظل، حتى قبضه الله اليه و إن أباك علياً كان في مثل ذلك فقوم قد أجمعوا على نصره و قاتلوا معه الناكثين و القاسطين و المارقين، حتى أتاه أجله فضى الى رحمة الله و رضوانه.»

«و أنت اليوم عندنا في مثل تلك الحالة، فن نكث عهده و خلع بيعته فلن يضر إلا

نفسه واللّه مغن عنه، فسر بنا راشداً معافى، مشرقاً إن شئت أو مغرباً، فواللّه ما أشفقنا من قدر اللّه ولا كرهنا لقاء ربنا وإنا على نيّاتنا وبصائرنا نوالي من والاك ونعادي من عاداك .

«ولما نزل الحسين (ع) كربلاء كتب الى ابن الحنفية وجماعة من بني هاشم: «اما بعد فكأن الدنيا لم تكن، وكأن الآخرة لم تنزل والسلام.

اليوم السابع يوم العطش .

وفي اليوم السابع اشتد الحصار على سيد الشهداء ومن معه وسد عنهم باب الورد ونفذ ما عندهم من الماء فعاد كل واحد يعالج لهب العطش ...

اليوم التاسع محاولة الزحف...

ونهض ابن سعد عشية الخميس، لتسع خلون من المحرم، ونادى في عسكره بالزحف نحو الحسين، وكان الحسين حينئذ جالساً امام بيته محتبياً بسيفه وخفق برأسه، فرأى رسول الله يقول: انك صائر الينا عن قريب وسمعت زينب اصوات الرجال وقالت لآخيا: قد اقترب العدو منا.

فقال لآخيه العباس:

— اركب بنفسي انت حتى تلقاهم وأسألهم عما جاءهم، وما الذي يريدون.

فركب العباس في عشرين فارساً، وأسألهم عن ذلك؟

فقالوا: جاء امر الأمير ان نعرض عليكم النزول على حكمه او ننازلكم الحرب.

واعلم العباس اخاه ابا عبدالله بما قاله القوم فقال الحسين(ع):

ارجع اليهم واستملهم هذه العشية الى غد لعلنا نصلي لربنا الله، وندعوه ونستغفره

فهو يعلم اني احب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار.

فرجع العباس واستملهم العشية،

فقال ابن سعد: والله لو اعلم انه لا يفعل ما اخرتهم العشية، ثم بعث الى الحسين...

انا اجلناكم الى غد فإن استسلمتم سرحنا بكم الى الأمير ابن زياد، وان أبيتم فلسنا

تارككم.

ليلة العاشر: عناق الرجولة والايمان

وجمع الحسين أصحابه قرب المساء قبل مقتله بليلة فقال:
أثني على الله أحسن الثناء واحده على السراء والضراء، اللهم اني احمدك على ان
اكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن، وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا اسماعاً وأبصاراً وافئدة،
ولم تجعلنا من المشركين.
أما بعد فاني لا أعلم اصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت ابر، ولا
اوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني جميعاً.
ألا واني أظن يومنا من هؤلاء الاعداء غدا، واني قد اذنت لكم فانطلقوا جميعاً في
حل، ليس عليكم مني ذمام
وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جلا، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل
بيتي، فجزاكم الله جميعاً خيراً! وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم فان القوم انما يطلبوني، ولو
أصابوني لذهلوا عن طلب غيري.»
فقال له اخوته وابناؤه وبنو أخيه وابناء عبد الله بن جعفر:
لِمَ نفعل ذلك؟ لننبق بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً، الهاشميون.
والتفت الحسين إلى بني عقيل وقال:
حسبكم من القتل بمسلم، اذهبوا قد أذنت لكم.
فقالوا: إذأ ما يقول الناس وما نقول لهم؟ انقول انا تركنا شيخنا وسيدنا وبني
عمومتنا خير الأعمام ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن برمح ولم نضرب بسيف، ولا ندرى ما
صنعوا؟!
«لا والله لا نفعل، ولكن نفديك بأنفسنا واموالنا وأهلينا، نقاتل معك حتى نرد
موردك فقبح الله العيش بعدك»

وقال مسلم بن عوسجة: أنحن نخلي عنك؟! وبماذا نعتذر الى الله في اداء حقك، أما والله لا أفارقك حتى اطعن في صدورهم برمحي وأضرب بسيفي ما ثبت قائمه بيدي، ولولم يكن معي سلاح اقاتلهم به، لقدفتم بالحجارة حتى اموت معك.»

وقال سعيد بن عبد الله الحنفي: والله لا نخليك حتى يعلم الله انا قد حفظنا غيبة رسوله فيك» واطاف: «اما والله لو علمت اني اقتل ثم أحيا، ثم احرق حياً ثم اذرى، يفعل بي ذلك سبعين مرة لما فارقتك، حتى التى حمامي دونك، وكيف لا افعل ذلك وانما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها ابداً.»

وقال زهير بن القين: والله وددت اني قتلت ثم نشرت، ثم قتلت حتى اقتل هكذا الف مرة وان الله عزوجل يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن انفس هؤلاء الفتيان من اهل بيتك.»

وتكلم باقي الأصحاب بما يشبه بعضه بعضاً فجزأهم الحسين خيراً.

وفي هذا الحال قيل لمحمد بن بشير الحضرمي، قد اسرابنك بشعر الري.

فقال: ما احب ان يؤسر وانا ابقى بعده حيا

فقال له الحسين: انت في حل من بيعتي فاعمل في فكاك ولدك

قال: لا والله لا افعل ذلك اكلتنى السباع حيا ان فارقتك!

في ليلة عاشوراء

هازل برير عبد الرحمن الانصاري

فقال له عبد الرحمن: ما هذا ساعة باطل؟ فقال برير:

لقد علم قومي ما أحببت الباطل كهلا ولا شاباً ولكني مستبشر بما نحن لاقون، والله ما بيننا وبين الحور العين إلا ان يميل علينا هؤلاء بأسيا فهم ولوددت أنهم مالوا علينا الساعة.

وخرج حبيب بن مظاهر يضحك .

فقال له يزيد بن الحصين الحمداني ما هذه ساعة ضحك!

قال حبيب: وأي موضع أحق بالسرور من هذا؟ ما هو إلا أن يميل علينا هؤلاء بأسيا فهم فنعانق الحور.

قال علي بن الحسين «زيد العابدين» سمعت أبي في الليلة التي قتل في صبيحتها يقول وهو يصلح سيفه:

يا دهر اف لك من خليل	كم لك بالاشراق والاصيل
من صاحب وطالب قتيل	والدهر لا يقنع بالبديل
وانما الامر الى الجليل	وكل حي سالك سبيل
«فأعادها مرتين أو ثلاثاً ففهمتها، وعرفت ما أراد وخنقتني العبرة ولزمت السكوت وعلمت ان البلاء قد نزل.»	

«وأما عمي زينب لما سمعت ذلك وثبتت نجر ذيلها حتى انتهت اليه وقالت :

— واثكلاه ليت الموت اعدمني الحياة اليوم ماتت امي فاطمة وابي علي واخي

الحسن يا خليفة الماضي وثمان الباقي .

فعرزاها الحسين-وصبرها وقال لها: يا اختاه تعزي بعزاء الله واعلمي ان اهل الارض يموتون، واهل السماء لا يبقون وكل شيء هالك الا وجهه، ولي ولكل مسلم برسول الله اسوة حسنة.

ثم انه عليه السلام أمر اصحابه ان يقاربوا البيوت بعضها من بعض ليستقبلوا القوم من وجه واحد، وأمر بحفر خندق من وراء البيوت يوضع فيه الحطب ويلقى عليه النار إذا قاتلهم العدو كيلا تقتحمه الخيل فيكون القتال من وجه واحد.

وخرج عليه السلام في جوف الليل الى خارج الخيام يتفقد التلاع، والعقبات فتبعه نافع بن هلال الجملي فسأله الحسين عما اخرج

قال: يا بن رسول الله افرعني خروجك الى جهة معسكر هذا الطاغية .
فقال الحسين: إني خرجت أتفقد التلاع والروابي مخافة أن تكون مكنأ لهجوم الخيل

يوم يحملون ويحملون
ثم رجع عليه السلام وهو قابض على يد نافع ويقول: هي هي والله وعد لا خلف فيه.

ثم قال له ألا تسلك بين هذين الجبلين في جوف الليل وتنجو بنفسك؟

فأخذ نافع يركي ويقول:

شكلتني امي، إن سيني بألف وفرسي مثله فوالله الذي من بك علي لا فارقتك حتى يكلا عن فري وجري.

قال الله العظيم في كتابه:

«و اتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق، اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما، ولم يتقبل من الآخر، قال لأقتلنك، قال انما يتقبل الله من المتقين، لئن بسطت يدك الي لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك اني أخاف الله رب العالمين، اني اريد ان تبوء باثمي و اثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين، فطوعت له نفسه قتل اخيه، فقتله فاصبح من الخاسرين، فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يوارى سوءة اخيه قال يا ويليتي اعجزت أن اكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من

النادمين، من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك لمسرفون»

صدق الله العلي العظيم.

— المائدة / ٢٧، ٣٢ —

الفصل الثالث

يوم عاشواء
الاستعداد للمواجهة

والله لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل
ولا أفرار العبيد

الامام الحسين (ع)

لما أصبح الحسين يوم عاشوراء وصلى باصحابه صلاة الصبح، قام خطيباً فيهم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

— ان الله تعالى أذن في قتلكم وقتلي في هذا اليوم، فعليكم بالصبر والقتال
ثم صفهم للحرب، وكانوا اثنين وثمانين فارساً وراجلاً، فجعل زهير بن القين في
اليمينه وحبيب بن مظاهر في المسيرة وثبت هو عليه السلام وأهل بيته في القلب وأعطى
الراية أخاه العباس

واقبل عمر بن سعد نحو الحسين عليه السلام في ثلاثين الفا فجعل ابن سعد على
اليمينه «عمر بن الحجاج الزبيدي» وعلى المسيرة «شمر بن ذي الجوشن العامري»
وعلى الخيل «عزرة بن قيس الاحمسي» وعلى الرجال «شيث بن ربيعي» والراية مع
مولاه ذويد.

وأقبلوا يجولون حول البيوت، فيرون النار تضطرم في الخندق، فنادى شمر بأعلى
صوته:

يا حسين تعجلت بالنار قبل يوم القيامة ؟
فقال الحسين من هذا؟ كأنه شمر بن ذي الجوشن!

قيل نعم

فقال عليه السلام: يا بن راعية المعزى أنت أولى بها مني صلياً.
ورام مسلم بن عوسجة أن يرمية بسهم، فنعه الحسين وقال: أكره أن أبدأهم بقتال.
ولما نظر الحسين (ع) الى جموع الاعداء كأنهم السيل، رفع يديه بالدعاء وقال:
— اللهم أنت تقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة
وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه
العدو، أنزلته بك وشكوته اليك؟ رغبة مني اليك عن سواك فكشفته وفرجته فأنت ولي
كل نعمة ومنتهى كل رغبة.

الحسين بن طاب العود

ثم دعا براحلته فركبها ونادى بصوت عال يسمعه جلهم:
«أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حق لكم علي، وحتى اعتذر اليكم من مقدمي عليكم فان قبلتم عذري وصدقتم قولي وأعطيتموني النصف من أنفسكم، كنتم، بذلك أسعد ولم يكن لكم علي سبيل وإن لم تقبلوا مني العذر، ولم تعطوا النصف من أنفسكم فأجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمّة، ثم اقضوا إلى ولا تنظرون، ان وليي الله الذي أنزل الكتاب وهو يتولى الصالحين.»

قال:

عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر فان الدنيا البقيت على أحد او بقي عليها أحد لكان الأنبياء أحق بالبقاء، وأولى بالرضا وأرضى بالقضاء، غير أن الله خلق الدنيا للفناء فجديدها بال، ونعيمها مضمحل، وسرورها مكفهرة والمنزل تلعة والدار قلعة، فتزودوا فان خير الزاد التقوى، واتقوا الله لعلكم تفلحون.

«أيها الناس ان الله تعالى خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالا بعد حال، فالمرور من غرته والشقي من فتنته، فلا تفرنكم هذه الدنيا فانها تقطع رجاء من ركن اليه، وتخيب طمع من طمع فيها وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم وأعرض بوجهه الكريم عنكم، واحل بكم نعمته فنعم الرب ربنا وبشس العبيد انتم، اقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمد(ص)، ثم انكم زخفتم الى ذريته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فانساكم ذكر الله العظيم، فتبأ لكم ولما تريدون، إنا لله وانا اليه راجعون،

«أيها الناس انسبوني من انا؟ ثم ارجعوا الى انفسكم وعاتبوها وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟

«ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله

بما جاء من عنده؟

أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟

«أوليس جعفر الطيار عمي؟»

«أولم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة؟ فان صدقتموني بما أقول — وهو الحق والله ما تعمدت الكذب منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ويضربه من اختلقه — وان كذبتوني فان فيكم من ان سألتوه عن ذلك اخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الانصاري وأبا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم وأنس بن مالك يخبروكم، انهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي، «أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي»؟!»

فقال الشمر: هو عبد الله على حرف إن كان يدري ما يقول!

فقال له حبيب بن مظاهر: والله إني أراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنك صادق ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك!

ثم قال الحسين (ع): فان كنتم في شك من هذا القول أفتشكون أبي ابن بنت نبيكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم،

«ويحكم اطلبوني بقتيل منكم قتلته! أو مال لكم استهلكته أو بقصاص جراحة،

ثم نادى: يا شبيب بن ربعي، ويا حجار بن ابجر ويا قيس بن الاشعث، ويا زيد ابن الحارث ألم تكتبوا الي ان أقدم قد اينعت الثمار واخضر الجناب وإنما تقدم على جندلك مجندة؟

فقالوا: لم نفعل!

قال: سبحان الله بلى والله لقد فعلتم.

ثم قال: ايها الناس إذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم الى مأمن من الارض، فقال له قيس بن الاشعث: أولا تنزل على حكم بني عمك؟ فانهم لن يروك الا ما

تحب ولن يصل اليك منهم مكروه.»!

فقال الحسين عليه السلام:

— أنت اخواخيك؟ أتريد أن يطلبك بنوهاشم باكثر من دم مسلم بن عقيل؟

«لا والله لا اعطيهم بيدي اعطاء الذليل ولا أفرار العبيد
«عباد الله اني عذت بري وربكم أن ترجمون، أعوذ بري وربكم من كل متكبر
لا يؤمن بيوم الحساب.»
ثم أناخ راحلته وأمر عقبه بن سمعان فعقلها.

زهير بن القين يخاطب الضمائر الميئة

وخرج اليهم زهير بن القين، على فرس ذنوب، وهو شاك في السلاح فقال:
— يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله، إنَّ حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم
ونحن حتى الآن اخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف وانتم للنصيحة منا
أهل فاذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا امة وانتم امة.
«ان الله ابتلانا واياكم بذرية نبيه محمد(ص) لينظر ما نحن وانتم عاملون إنا
ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية يزيد وعبيد الله بن زياد، فانكم لا تدركون منها إلا
سوء عمر سلطانها، يسملان أعينكم ويقطعان أيديكم وأرجلكم ويمثلان بكم
ويرفعانكم على جذوع النخل ويقتلان أمثالكم وقراءكم أمثال حجر بن عدي
وأصحابه وهاني بن عروة وأشباهه،
فسبوه وأثنوا على عبيد الله بن زياد ودعوا له وقالوا: لانبرح حتى نقتل صاحبك ومن
معه، أونبعث به وبأصحابه إلى عبيد الله بن زياد سلعاً.»
فقال زهير: عباد الله ان ولد فاطمة احق بالود والنصر من ابن سمية فان لم تنصروهم
فأعذكم بالله ان تقتلوهم فخلوا بين هذا الرجل وبين يزيد،
فرماه الشمر بسهم وقال:
—: اسكت أسكت الله نامتك أبرمتنا بكثرة كلامك!
فقال زهير: ما إياك اخاطب، انما انت بهيمة والله ما اظنك تحكم من كتاب الله
آيتين فابشر بالحرزي يوم القيامة والعذاب الأليم
فقال الشمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة.
فقال زهير: أقبالموت تخوفي، فوالله للموت معه أحب إليّ من الخلد معكم،
— عباد الله لا يفرنكم عن دينكم هذا الجلف الجاني واشباهه، فوالله لا ينال شفاعته

محمد(ص) قوماً هرقوا دماء ذريته واهل بيته وقتلوا من نصرهم وذب عن حريمهم .
فتناداه رجل من أصحابه ان أبا عبد الله يقول لك: اقبل فلعمري لئن كان مؤمن
أل فرعون نصح قومه وابلغ في الدعاء فلقد نصحت هؤلاء وابلغت لونغع النصح والبلاغ .
واستأذن الحسين برير بن خضير، في أن يكلم القوم فأذن له، وكان شيخاً تابعياً
ناسكاً قارئاً للقرآن ومن شيوخ القراء في جامع الكوفة وله في الهمدانين شرف وقدر.
فوقف قريباً منهم ونادى:

يامعشر الناس إن الله بعث محمداً بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله وسراجاً منيراً، وهذا
ماء الفرات تقع فيه خنازير السواد وكلابه وقد حيل بينه وبين ابن بنت رسول الله،
أفجزاء محمد هذا؟.

فقالوا: يا برير قد اكثرت الكلام، فاكفف عنا فوالله ليعطش الحسين كما عطش
من كان قبله!

فقال برير: يا قوم ان ثقل محمد قد اصبح بين أظهركم، وهؤلاء ذريته وعترته وبناته
وحرمه، فهاتوا ما عندكم وما الذي تريدون أن تصنعوه بهم؟
فقالوا: نريد أن نمكن منهم الامير عبيد الله بن زياد فيري فيهم رأيه .
فقال: أفلا تقبلون منهم أن يرجعوا الى المكان الذي جاءوا منه
«ويلكم يا اهل الكوفة أنسيتم كتبكم وعهودكم التي أعطيتموها واشهدتم الله عليها
وعليكم؟

«ادعوتهم اهل بيت نبيكم وزعمتم انكم تقتلون انفسكم دونهم حتى اذا أتوكم
أسلمتموهم الى ابن زياد وحلأتموهم عن ماء الفرات؟
«بئسما خلفتم نبيكم في ذريته!

مالك لاسقاكم الله يوم القيامة فبئس القوم انتم!
فقال له نفر منهم: يا هذا ماندرى ما تقول!
قال: الحمد لله الذي زادني فيكم بصيرة، اللهم إني أبرأ اليك من فعال هؤلاء القوم
اللهم الق بأسهم بينهم حتى يلقوك وأنت عليهم غضبان»
فجعل القوم يرمونه بالسهام ففتحهم.

الحسين يعود الى مخاطبة العدو

ثم إنَّ الحسين (ع) ركب فرسه، وأخذ مصحفاً ونشره على رأسه ووقف بإزاء القوم وقال:

— يا قوم ان بيني وبينكم كتاب الله وسنة جدي رسول الله (ص).
ثم استشهدهم عن نفسه وما عليه من سيف النبي (ص) ولامته وعمامته فأجابوه بالتصديق فسألهم عما أقدمهم على قتله؟
قالوا: طاعة للامير عبيد الله بن زياد،
فقال عليه السلام:

«تبألكم أيتها الجماعة وقرحاً، أحين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين: سللتم علينا سيفاً لنا في ايمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم فأصبحتم البأ لاعدائكم على أوليائكم، بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم، «فهلا لكم الويلات؟ تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن والرأي لما يستحصف، ولكن أسرعتم اليها كطيره الدبا، وتداعيتم عليها كتهافت الفراش ثم نقضتموها

«فسحقاً لكم يا عبيد الامة وشذاذ الاحزاب ونبذة الكتاب ومحر في الكلم، عصابة الائم ونفثة الشيطان ومطفئي السن!

«وبحكم أهولاء تعضدون وعنا تتخاذلون! أجل والله غد فيكم قديم وشجت عليه اصولكم وتأزرت فروعكم فكنتم أنخيث ثمرة، شجى للناظر وأكلة للغاصب!
«ألا وإنَّ الدعي بن الدعي قد ركزين اثنتين بين السلة والذلة، وهيات منا الذلة، يأبي الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وانوف حمية، ونفوس أبية من

أن نوثر طاعة اللئام على مصارع الكرام،

«ألاواني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر. ثم انشد يقول

فان نهزم فهزامون قدماً	وإن نهزم فغير مهزميننا
وما أن طبننا جبن ولكن	منايانا ودولة آخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا	سيلقى الشامتون كما لقينا
إذا ما الموت رفع عن اناس	بكللكه اناخ بآخرينا

«أما والله لا تلبثون بعدها الا كريثا يركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرحى وتقلق بكم قلق المحور، عهد، عهده إلى أبي عن جدي رسول الله «فأجمعوا امركم و شركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم».

ثم رفع يديه نحو السماء وقال:

«اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة فانهم كذبونا وخذلونا وانت ربنا عليك توكلنا واليك المصير.

«والله لا يدع احداً منهم إلا انتقم لي منه قتلة بقتلة، وضربة بضربة، وانه لينتصر لي ولأهل بيتي واشياعي»...

”الحمر“ ينضم الى معسكر الحسين

ولما سمع الحمر بن يزيد الرياحي كلامه واستغاثته، أقبل على عمر بن سعد وقال له:
—: أمقاتل انت هذا الرجل؟

قال: إى والله قتالا أيسره أن تسقط فيه الرؤوس وتطيح الايدي
قال: مالكم فيما عرضه عليكم من الخصال؟

فقال: لو كان الأمر إلي لقبلت ولكن أميرك أبى ذلك،

فتركه ووقف مع الناس، وكان إلى جنبه قرة بن قيس فقال لقرة:

هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا، قال: فهل تريد أن تسقيه؟

فظن قرة من ذلك انه يريد الاعتزال ويكره أن يشاهده، فأخذ الحر يدنو من الحسين
قليلا فقال له المهاجر بن أوس: أتريد ان نحمّل؟ فسكت، واخذته الرعدة، فارتاب

المهاجر من هذا الحال، وقال له

— لوقيل لي من اشجع اهل الكوفة لما عدوتك، فإ هذا الذي أراه منك؟

فقال الحر إني أخير نفسي بين الجنة والنار، والله لا اختار على الجنة شيئا ولو

أحرقت،

ثم ضرب جواده نحو الحسين منكساً رجه قابلاً ترسه وقد طأطأ برأسه حياء من آل

الرسول، بما أتى اليهم وجتمع بهم في هذا المكان على غير ماء ولا كلاً

فرفع صوته وهو يقترب من الإمام الحسين قائلاً:

«اللهم اليك اتيت فنتب علي، فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولادنيك! يا أبا

عبدالله اني تائب فهل لي من توبة؟»!

فقال الحسين (ع) نعم يتوب الله عليك.

الحرينصح جيش الكوفة

ثم استأذن الحسين في ان يكلم القوم فأذن له فنأدى بأعلى صوته:
«يا أهل الكوفة لأأمكم المهبل والعبر، ادعوتكم هذا العبد الصالح، حتى اذا جاءكم
اسلمتموه وزعتم انكم قاتلوا انفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لتقتلوه وامسكتم بنفسه،
واخذتم بكظمه واحطتم به من كل جانب فنعمتموه التوجه الى بلاد الله العريضة حتى
يأمن واهل بيته، واصبح كالأسير في ايديكم لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، وحلأتموه
ونساءه وصبيته وصحبه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهود والانصارى والمجوس،
وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه! وهاهم قد صرعهم العطش بشما خلفتم محمدا في ذريته
لا سقاكم الله يوم الظما...»

فحلمت عليه رجالة ترميه بالنبل، فتقهقر حتى وقف امام الحسين...

الهجوم على معسكر أهل البيت (ع)

وتقدم عمر بن سعد نحو عسكر الحسين ورمي بسهم وقال:

— اشهدوا لي عند الأمير اني اول من رمى ...

ثم رمى الناس فلم يبق من اصحاب الحسين احد الا اصابه من سهامهم فقال عليه السلام لاصحابه:

— قوموا رحكم الله الى الموت الذي لا بد منه، فان هذه السهام رسل القوم اليكم.

فحمل اصحابه حملة واحدة واقتتلوا ساعة فما انجلت الغيرة الا عن خمسين صريعا من اصحاب الحسين فقصر الحسين (ع) يده على لحيته وجعل يقول: اشتد غضب الله على اليهود اذ جعلوا له ولدا، واشتد غضبه على النصارى اذ جعلوه ثالث ثلاثة واشتد غضبه على المجوس اذ عبدوا الشمس والقمر دونه، واشتد غضبه على قوم اتفقت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيهم، اما والله لا اجيبهم الى شيء مما يريدون حتى التقي الله وانا مخضب بدمي. ثم صاح: «اما من مغيث يغيثنا! ما من ذاب يذب عن حرم رسول الله! فبكت النساء وكثر صراخهم.

وسمع الانصارى ان «سعد بن الحارث» و اخوه «ابو الحتوف» استنصار الحسين واستغاثته وبكاء عياله وكانا مع ابن سعد، فلما بسيفيهما على اعداء الحسين وقتلا حتى قتلا.

واخذ اصحاب الحسين بعد ان قل عددهم وبان النقص فيهم يبرز الرجل بعد الرجل فاكثروا القتل في اهل الكوفة فصاح عمرو بن الحجاج بأصحابه:

اتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان المصر واهل البصائر وقوما مستميتين لا يبرز اليهم احد منكم الا قتلوه على قلتهم، والله لو لم ترموهم الا بالحجارة لقتلتموهم! فقال عمر بن سعد: صدقت، الرأي مارأيت ارسل في الناس من يعزم عليهم ان لا يبارزهم رجل منهم ولو خرجتم اليهم وحدانا لا توا عليكم.

ثم حمل «عمرو بن الحجاج» على ميمنة الحسين، فثبتوا له وجثوا على الركب وشرعوا الرماح، فلم تقدم الخيل فلما ذهب الخيل لترجع رشقهم اصحاب الحسين بالنبل فصرعوا رجالاً وجرحوا آخرين.

استشهادهام بن عوسجه

ثم حمل عمرو بن الحجاج من نحو الفرات، فاقتتلوا ساعة وفيها قاتل مسلم بن عوسجة فشد عليه مسلم بن عبدالله الضبابي وعبدالله البجلي وثارث لشدة الجلال غيرة شديدة وما انجلت الغيرة الا ومسلم صريع وبه رمق،
فشى اليه الحسين ومعه حبيب بن مظاهر فقال له الحسين:
رحمك الله يا مسلم، منهم من قضى نجه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا. ودنا منه حبيب وقال:

عز عليّ مصرعك يا مسلم ابشر بالجنة
فقال بصوت ضعيف: بشرك الله بخير
قال حبيب: لولم أعلم أني في الاثر لأحببت أن توصي الي بما أهمك
فقال مسلم: اوصيك بهذا
واشار الى الحسين أن تموت دونه
قال: أفعل ورب الكعبة وفاضت روحه بينها، وصاحت جارية له
وامسلماه يا سيداه يا ابن عوسجته فنادى اصحاب ابن الحجاج قتلنا مسلماً.

استشهاده وهب وزوجه

وحمل الشمر في جماعة من اصحابه على ميسرة الحسين فثبتوا لهم حتى كشفوهم، وفيها قاتل عبدالله بن عمير الكبي وكنيته ابو وهب، فقال الحسين عنه احبسه للاقربان قتالا، فقتل تسعة عشر فارسا واثنى عشر رجلاً، وشد عليه هاني به ثبت الحضرمي فقطع يده اليمنى، وقطع بكر بن حي ساقه.

واخذت زوجته ام وهب بنت عبدالله من الثمر بن قاسط، عموداً واقبلت نحوه تقول له.

فذاك ابي وامى قاتل دون الطيبين ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فاراد ان يردّها الى الخيمة فلم تطاوعه واخذت تجاذبه ثوبه وتقول:
لن ادعك دون ان اموت معك.

فناداهم الحسين جزيتم عن اهل بيت نبيكم خيراً... ارجعي الى الخيمة، فانه ليس على النساء قتال... فرجعت.

وحينما قتل وهب مشيت اليه زوجته ام وهب وجلست عند رأسه تمسح الدم عنه وتقول:

هنيئاً لك الجنة اسأل الله الذي رزقك الجنة ان يصحبني معك
فقال الشمر لغلامه رستم: اضرب رأسها بالعمود، فشدخه وماتت مكانها وهي أول امرأة قتلت من اصحاب الحسين.

وقطع رأسه ورمي به الى جهة الحسين فأخذته امه ومسحت الدم عنه ثم أخذت عمود خيمة وبرزت الى الأعداء، فردّها الحسين وقال

ارجعي رحمك الله فقد وضع عنك الجهاد فرجعت وهي تقول:

اللهم لا تقطع رجائي، فقال الحسين لا يقطع الله رجاءك .
وحمل الشمر حتى طعن فسطاط الحسين بالرمح وقال
علي بالنار لأحرقه على أهله
فتصايحت النساء وخرجن من الفسطاط، وناداه الحسين
يا بن ذي الجوشن انت تدعون بالنار لتحرق بيتي على اهلي احرقك الله بالنار! وقال له
شيث بن ربعي :
أمرعباً للنساء صرت؟ ما رأيت مقالا اسوأ من مقالك وموقفاً أقبح من موقفك،
فاستحي وانصرف.
وحمل على جماعته زهير بن القين في عشرة من اصحابه حتى كشفوهم عن البيوت.

التسابيح الى الشهادة

ولما نظر من بقي من اصحاب الحسين إلى كثرة من قتل منهم أخذ الرجلان
والثلاثة والاربعة يستأذنون الحسين في الذب عنه والدفع عن حرمه، وكل يحمي
الأخر من كيد عدوه

فخرج الجابريان وهما سيف بن الحارث بن سريع ومالك بن سريع وهما
ابنا عم وهما يبيكان فقال الحسين:

— ما يبكيكما إني لارجوان تكونا بعد ساعة قريري العين.
قالا: جعلنا الله فداك ما على أنفسنا نبكي ولكن نبكي عليك نراك قد احيط
بك ولا نقدر أن ننفعك فجزاهما الحسين خيراً فقاتلاً قريباً منه حتى قتلا
وجاء عبدالله وعبدالرحمن ابنا عروة الغفاريان فقالا: قد حازنا الناس اليك
فجعلنا يقاتلان بين يديه حتى قتلا.

وخرج عمرو بن خالد الصيداوي، وسعد مولاة وجابر بن الحارث السلماني
ومجمع بن عبدالله العائذي وشدوا جميعاً على أهل الكوفة فلما أوغلوا فيهم عطفوا
عليهم وقطعوه عن أصحابهم، فندب اليهم الحسين أخاه العباس فاستنقذهم بسيفه
وقد جرحوا بأجمعهم وفي أثناء الطريق اقترب منهم العدو فشدوا بأسيافهم مع مابهم
من الجراح وقاتلوا حتى قتلوا في مكان واحد.

صلاة في محراب الدماء

والتفت ابو ثمامة الصائدي الى الشمس قد زالت، فقال للحسين:
— نفسي لك الفداء اني ارى هؤلاء قد اقتربوا منك لا والله لا تقتل حتى
اقتل دونك واحب ان القى الله وقد صليت هذه الصلاة التي دنا وقتها.
فرفع الحسين رأسه الى السماء وقال:
— ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين، نعم هذا أول وقتها
سلوهم ان يكفوا عنا حتى نصلي... فقال الحصين بن نمير انها لا تقبل.
فقال له حبيب بن مظاهر:
— زعمت لا تقبل الصلاة من آل رسول الله — ص — وانصارهم، وتقبل منك
يا فاسق؟
فحمل عليه الحصين فضرب حبيب وجه فرسه بالسيف فشبت به ووقع عنه،
واستنفذه اصحابه فحملوه.
وقاتلهم حبيب قتالاً شديداً فقتل على كبره اثنين وستين رجلاً وحمل عليه
«بديل بن صريم» فضربه بسيفه وطعنه آخر من تميم برمحه فسقط الى الارض،
فذهب ليقوم، واذا الحصين يضربه بالسيف على رأسه فسقط لوجهه، ونزل اليه
التميمي واحتز رأسه، فهد مقتله الحسين فقال:
— عند الله احتسب نفسي وحماة اصحابي .. واسترجع كثيراً.

* * *

وقام الحسين الى الصلاة، فقليل إنه صلى بمن بقي من أصحابه صلاة الخوف
وتقدم امامه زهير بن القين وسعيد بن عبدالله الحنفي في نصف من أصحابه

ولما أثنى سعيد بالجراح سقط الى الارض وهو يقول:
اللهم العنهم العنهم لعن عاد وثمود وأبلغ نبيك مني السلام وأبلغه ما لقيت من
ألم الجراح فاني اردت بذلك ثوابك في نصرة ذرية نبيك صلى الله عليه وآله وسلم
والتفت الى الحسين قائلاً: أوفيت يا ابن رسول الله؟
قال الحسينى -: نعم أنت امامي في الجنة وقضي نحبه ... فوجد فيه ثلاثة
عشر سهماً غير الضرب والظعن.

ولما فرغ الحسين من الصلاة، قال لأصحابه:
— يا كرام هذه الجنة قد فتحت ابوابها، واتصلت أنهارها وأينعت ثمارها،
وهذا رسول الله والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله يتوقعون قدومكم ويتباشرون
بكم، فحاموا عن دين الله ودين نبيه وذبوا عن حرم الرسول
فقالوا: نفوسنا لنفسك الفداء ودمائنا لدمك الوقاء فوالله لا يصل اليك والى
حرمك سوء وفينا عرق يضرب.!

استشهاد الحر الرياحي

ثم خرج الحر بن يزيد الرياحي ومعه زهير بن القين يحمي ظهره، فكان اذا شد احدهما واستلحم، شد الآخر واستنقذة ففعلا ذلك ساعة، وأن فرس الحر المضروب عل اذنيه وحاجبيه والدماء تسيل منه وكان يرتجز ويقول:

اني انا الحر ومأوي الضيف اضرب في اعناقكم بالسيف
عن خير من حلّ بارض الخيف اضربكم ولا ارى م حيف

فقال الحصين ليزيد بن سفيان: هذا الحر الذي كنت تتمنى قتله. قال نعم، وخرج اليه يطلب المبارزة فما اسرع ان قتله «الحر» ثم رمى «ايوب بن مشرح الخيواني» فرس الحربسهم فقره وشبّ به الفرس فوثب عنه كأنه ليث ويده السيف وجعل يقاتل راجلا حتى قتل نيفا واربعين، ثم شدت عليه الرجالة فصرعته، وحمله اصحاب الحسين (ع) ووضعوه امام القسطاط الذي يقاتلون دونه، وهكذا يؤتى بكل قتيل الى هذا القسطاط والحسين يقول:

لنعم الحر حر بني رياح صبور عند مشتبك الرماح
ونعم الحر اذ فادى حسينا وجاد بنفسه عند الصباح

هجوم على الخيل!

ثم ان عمر بن سعد وجه عمرو بن سعيد في جماعة من الرماة فرموا اصحاب الحسين وعقروا خيولهم، ولم يبق مع الحسين فارس الا الضحاك بن عبدالله المشرقي، يقول:

«لما رأيت خيل اصحابنا تعقر اقبلت بفرسي وادخلتها فسطاطاً لاصحابنا، واقتتلوا اشد القتال وكان كل من اراد الخروج ودع الحسين بقوله: السلام عليك يا ابن رسول الله، فيجيبه الحسين و عليك السلام... ونحن خلفك ثم يقرأ «ومنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً»

استشهاد زهير بن القين

وخرج سلمان بن مضارب البجلي وكان ابن عم زهير بن القين فقاتل حتى قتل.

وخرج بعده زهير بن القين فوضع يده على منكب الحسين وقال مستأذناً:

اقدم هديت هاديا مهديا فاليوم القى جدك النبيا
وحسنا والمرتضي عليا واذا الجناحين الفتى الكميا
واسد الله الشهيد الحيا

فقال الحسين: وانا القاها على اترك. وكان في حملاته يقول:

انا زهير وانا ابن القين اذودكم بالسيف عن حسين
فقتل مائة وعشرين، ثم عطف عليه كثير بن عبدالله الصعبي والمهاجر بن اوس

فقتلاه، فوقف الحسين على جثمانه وقال:

«لا يبعدنك الله يازهير ولعن قاتليك لعن الذين مسخوا قردة وخنازير.

استسار نافع الجمالي

ورمى نافع بن هلال الجملي المذحجي العدو بنبال مسمومة كتب اسمه عليها وهو يقول.

أرمي بها معلمة أفواقها مسمومة تجري بها اخفاقها
ليملأن ارضها رشاقها والنفس لا ينفعها اشفاقها

فقتل اثني عشر رجلاً، سوى من جرح ولمافنيت نباله جرد سيفه يضرب فيهم فأحاطوا به يرمونه بالحجارة والنصال حتى كسروا عضديه واخذوه اسيراً فأمسكه الشمر ومعه اصحابه يسوقونه، فقال له ابن سعد: ماحملك على ما صنعت بنفسك؟ قال:

إن ربي يعلم ما اردت، فقال له رجل وقد نظر إلى الدماء تسيل على وجهه ولحيته: أما ترى ما بك؟

فقال: والله لقد قتلت منكم اثني عشر رجلاً سوى من جرحت وما الوم نفسي على الجهد ولو بقيت لي عضد ما اسرتموني!
وجرد الشمر سيفه، فقال له نافع:

والله يا شمر لو كنت من المسلمين لعظم عليك ان تلقى الله بدمائنا فالحمد لله الذي جعل منا يانا على يدي شرار خلقه ثم قذعه الشمر وضرب عنقه.

الحسين يعانق الشهداء

ولما صرع واضح التركي، مولى الحرث المذحجي، استغاث بالحسين فأثاه
أبو عبد الله واعتنقه!
فقال: من مثلي وابن رسول الله (ص) واضع خده على خدي اثم فاضت نفسه
الطاهرة.
ومشى الحسين الى أسلم مولاه واعتنقه، وكان به رمق فتبسم وافتخر بذلك
ومات!

استشهاده بربر بن خضير

ونادى يزيد بن معقل:
—: يا بربر كيف ترى صنع الله بك؟
فقال صنع الله بي. خيراً وصنع بك شراً.
فدعاه بربر الى المباهلة فرفعا ايديهما الى الله سبحانه يدعوانه أن يلعن
الكاذب ويقتله، ثم تضاربا فضر به بربر على رأسه فقذت المغفر والدماع كأنما
هوى من شاهق و سيف بربر ثابت في رأسه وبيناهو يريد ان يخرجـه إذ حمل عليه
رضي بن منقذ العبيدي واعتنق بربراً واعتركا فصرعه بربر وجلس على صدره
فاستغاث رضي بأصحابه، فذهب كعب بن جابر بن عمرو الأزدي ليحمل على بربر
فصاح به عفيف بن زهير بن أبي الأحنس «هذا بربر بن خضير القاري الذي كان
يقرونا القرآن في جامع الكوفة» فلم يلتفت اليه وطعن بربراً في ظهره، فبرك بربر
على رضي وعض وجهه وقطع طرف انفه وألقاه كعب برمحه وضربه بسيفه فقتله.

استشهاد حنظلة الشامي

ونادى حنظلة بن سعد الشامي:

«يا قوم إني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمره
والذين من بعدهم وما الله يريد ظلاماً للعباد— يا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد
يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد— يا قوم
لا تقتلوا حسيناً فيسحتكم الله بعذاب وقد خاب من افترى.
فجزاه الحسين خيراً وقال:

«رحمك الله انهم قد استوجبوا العذاب حين ردوا عليك مادعوتهم اليه من
الحق ونهضوا اليك ليستبيحوك واصحابك فكيف بهم الآن وقد قتلوا اخوانك
الصالحين.

قال: صدقت يا ابن رسول الله أفلا نروح الى الآخرة؟ فأذن له فسلم على
الحسين وتقدم يقاتل حتى قتل.

استهاد عابس

واقبل عابس بن شبيب الشاكري على شوذب، مولى شاكر و كان شوذب من الرجال المخلصين.
فقال: يا شوذب ما في نفسك ان تصنع؟ قال: أقاتل معك حتى اقتل فجزاه خيراً و قال له: تقدم بين يدي أبي عبد الله (ع) حتى يحتسبك كما احتسب غيرك و حتى أحتسبك فان هذا يوم نطلب فيه الاجر بكل ما نقدر عليه فسلم شوذب على الحسين و قاتل حتى قتل.

فوقف عابس امام أبي عبد الله (ع) وقال:
«ما امسى على ظهر الارض قريب ولا بعيد اعز علي منك ولو قدرت ان ادفع الضيم عنك بشيء اعز علي من نفسي لفعلت، السلام عليك، اشهد اني على هداك و هدى ابيك! و مشى نحو القوم مصلاً سيفه و به ضربة على جبينه فنادى:
ألا رجل.. فأحجموا عنه لأنهم عرفوه اشجع الناس،
فصاح عمر بن سعد:

«ارضخوه بالحجارة فرمي بها فلما رأى ذلك القى درعه و مغفره و شد على الناس انه ليطرد اكثر من مائتين، ثم تعطفوا عليه من كل جانب فقتل.

استهاد جون

ووقف جون مولى ابي ذر الغفاري امام الحسين يستأذنه فقال عليه السلام:
«يا جون إنما تبعتنا طلباً للعافية فأنت في اذن مني؟
فوقع على قدميه يقبلها ويقول: «أنا في الرخاء ألحس قصاعكم، وفي الشدة
أخذلكم... واضاف ان ربحي لنتن وحسي للثيم ولوني لأسود فتنفس علي بالجنة
ليطيب ربحي ويشرف حسي ويبيض لوني، لا والله افارقكم حتى يختلط هذا الدم
الاسود مع دمانكم!
فأذن له الحسين فقتل خمساً وعشرين وقتل،
فوقف عليه الحسين وقال: اللهم بيّض وجهه وطيب ربحه واحشره مع محمد(ص) و
عرّف بينه وبين آل محمد(ص).

استهاد انس الكاهلي

وكان أنس بن الجمارث بن نبيه الكاهلي شيخاً كبيراً صحابياً رأى النبي وسمع
حديثه وشهد معه بدرأ وحنيناً، فاستأذن الحسين وبرز شاداً وسطه بالعمامة رافعاً
حاجبيه بالعصابة، ولما نظر اليه الحسين بهذه الهيئة قال: شكر الله لك يا شيخ،
فقتل على كبره ثمانية عشر رجلاً وقتل.

استهاد عمرو بن جندادة

وجاء عمرو بن جندادة الانصاري، بعد أن قتل ابوه وهو ابن إحدى عشرة سنة
يستأذن الحسين فأبى وقال:
«هذا غلام قتل أبوه في الحملة الأولى ولعل أمه تكره ذلك
فقال الغلام: ان امي امرتني والبستي لامة حربي
فأذن له فما أسرع أن قتل ورمي برأسه إلى جهة الحسين فأخذته امه ومسحت الدم
عنه وضربت به رجلاً قريباً منها فمات وعادت الى المخيم فأخذت عموداً وقيل سيفاً
وانشأت تقول:

اني عجوز في النساء ضعيفة خاوية بالية نحيفة
اضربكم بضربة عنيفة دون بني فاطمة الشريفة
فردها الحسين إلى الخيمة بعد أن اصابته بالعمود رجلين.

استشهاد الحجاج الجعفي

وقاتل الحجاج بن مسروق الجعفي حتى خضب بالدماء فرجع إلى الحسين يقول:

اليوم القى جذك النبيا ثم أباك ذا الندى عليا
ذاك الذي نعرفه الوصيا
فقال الحسين: وأنا القاهما على أثرك فرجع يقاتل حتى قتل

استشهاد سويد

ولما اثنى بالجراح سويد بن عمرو بن أبي المطاع سقط لوجهه وظن انه قتل،
فلما قتل الحسين وسمعهم يقولون «قتل الحسين» أخرج سكينه كانت معه فقاتل
بها وتعطفوا عليه، فقتلوه وكان آخر من قتل من الاصحاب بعد الحسين عليه السلام.

استشهاد علي الأكبر

لما لم يبق مع الحسين الا أهل بيته، عزموا على ملاقة الختوف ببأس شديد وحفاظ مرو نفوس أبيه واقبل بعضهم يودع بعضاً واول من تقدم أبو الحسن علي الأكبر وهو يرتجز:

أنا علي بن الحسين بن علي نحن ورب البيت أولي بالنبي
تالله لا يحكم فينا ابن الدعي أضرب بالسيف احامي عن أبي
ضرب غلام هاشمي قرشي

ولم يتمالك الحسين عليه السلام دون أن أرخي عينيه بالدموع وصاح بعمر بن سعد:

«مالك؟ قطع الله رحك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسلط عليك من يذبك على فراشك ثم رفع شيبته المقدسة نحو السماء وقال:

«اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز اليهم اشبه الناس برسولك محمد خَلَقاً وُخِلِقاً ومنطقاً وكنا اذا اشتقنا الى رؤية نبيك نظرنا اليه اللهم، فامنعهم بركات الارض وفرقهم تفريقاً، ومزقهم تمزيقاً واجعلهم طرائق قديماً ولا ترض الولاة عنهم أبداً، فانهم دعونا لينصر وناثم عدوا علينا يقاتلون» ثم تلا قوله تعالى: إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم.

ولم يزل «علي الأكبر» يحمل على الميمنة ويعيدها على الميسرة ويفوص في الاوساط، فلم يقابله جحفل الارده ولا برزاليه شجاع إلا قتله.

فقتل مائة وعشرين فارساً وقد اشتد به العطش فرجع الى ابيه يستريح و يذكر ما
اجهده من العطش فقال له الحسين:

«ما أسرع الملتقى بجذك فيسقيك بكأسه شربة لا تظمأ بعدها ابداً» وأخذ لسانه
فصه ودفع اليه خاتمه ليضعه في فيه

ورجع «علي» الى الميدان مبتهجاً بما قاله ابوه.

فقال مرة بن منقذ العبدى، علي آثم العرب [❦] إن لم أأكل أباه به، فطعنه بالرمح في
ظهره وضربه بالسيف على رأسه ففلق هامته فاعتنق علي الاكبر فرسه فاحتمله الى
معسكر الاعداء، وأحاطوا به حتى قطعوه بسيوفهم إرباً إرباً.

ونادى رافعاً صوته: عليك مني السلام ابا عبدالله هذا جدي قد سقاني بكأسه
شربة لا اظمأ بعدها وهو يقول إن لك كأساً مذكورة، فأناه الحسين عليه السلام
وانكب عليه واضعاً خده على خده وهو يقول: على الدنيا بعدك العفا ما اجرأهم على
الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول يعز على جدك وابيك ان تدعوهم فلا يجيبونك
وتستغيث بهم فلا يغيثونك.

وأمر فتيانه أن يحملوه الى الخيمة فجاءوا به إل الفسطاط الذي يقاتلون أمامه.

استشهاد عبد الله بن مسلم

وخرج من بعده عبدالله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب وامه رقية الكبرى بنت امير المؤمنين عليه السلام وهو يقول:
اليوم القى مسلماً وهو أبي وعصبة باتوا على دين النبي
فقتل جماعة بثلاث حملات ورماه يزيد بن الرقاد الجهني فاتقاه بيده فسمرها إلى
جبهته فما استطاع ان يزيلها عن جبهته فقال
«اللهم انهم استقلونا واستذلونا فاقتلهم كما قتلونا
وبينا هو على هذا إذ حل عليه رجل برمحه فطعنه في قلبه ومات، فجاء اليه يزيد
ابن الرقاد واخرج سهمه من جبهته وبقي النصل فيها وهو ميت.

هجوم آل أبي طالب

ولما قتل عبدالله بن مسلم، حل آل أبي طالب حملة واحدة، فصاح بهم الحسين
عليه السلام:
صبراً على الموت يا بني عمومي والله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم.
فوقع فيهم عون بن عبدالله بن جعفر الطيار وامه العقيلة زينب، واخوه محمد وامه
الخصاء، وعبدالرحمن بن عقيل بن أبي طالب، واخوه جعفر بن عقيل ومحمد بن
مسلم بن عقيل.
وخرج ابوبكر بن امير المؤمنين عليه السلام واسمه محمد فقتله زحر بن بدر
النخعي.
وخرج عبدالله بن عقيل فما زال يضرب فيهم حتى اثنى بالجراح وسقط الى
الارض فجاء اليه عثمان بن خالد التميمي فقتله.

استعداد القاسم وأخوه

وخرج ابوبكر بن الحسين بن امير المؤمنين (ع) وهو عبدالله الاكبر وامه رملة، فقاتل حتى قتل.

وخرج من بعده اخوه لامه وأبيه القاسم، وهو غلام لم يبلغ الحلم، فلما نظر اليه الحسين عليه السلام اعتنقه وبكى، ثم اذن له فبرز كأن وجهه شقة قر وبيده السيف وعليه قميص وإزار وفي رجله نعلان، فشى يضرب بسيفه فانقطع شمع نعله اليسرى، وأنف ابن النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم أن يجثي في الميدان فوقف يشد شمع نعله، وهو لا يزن الحرب الا بمثله غير مكترث بالجمع ولا مبال بالالوف.

وبينا هو على هذا إذ شد عليه عمرو بن سعد بن نفيل الازدي فقال له حميد بن مسلم:

وما تريد من هذا الغلام؟ يكفيك هؤلاء الذين تراهم احتوشوه!

فقال: والله لأشدن عليه، فما ولي حتى ضرب رأسه بالسيف فوقع الغلام لوجهه فقال ياعماء... فأناه الحسين كالليث الغضبان فضرب عمرأ بالسيف فاتقاه بالساعد فأطنها من المرفق، فصاح صيحة عظيمة سمعها العسكر فحملت خيل ابن سعد لتستنقذه فاستقبلته بصدورها ووطأتها بجوافرها فات.

«وانجلت الغبرة واذا الحسين، قائم على رأس الغلام وهو يفحص برجليه! والحسين يقول: بعداً لقوم قتلوك خصمهم يوم القيامة جدك.

ثم قال: عز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك، او يجيبك فلا يتفك صوت والله كثر واتره وقل ناصره، ثم احتمله وكان صدره على صدر الحسين (ع) ورجلاه يخطان في الارض، فألقاه مع علي الاكبر وقتلى حوله من أهل بيته.

ورفع طرفه الى السماء وقال: اللهم احصهم عدداً ولا تغادر منهم أحداً ولا تغفر لهم أبداً!

صبراً يا بني عمومي صبراً يا أهل بيتي، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً

استشهاد اخوة العباس (ع)

ولما رأى العباس عليه السلام كثرة القتل من أهله قال لاخته من أمه وأبيه
عبد الله وعثمان وجعفر:

«تقدموا يا بني أمي حتى أراكم نصحتم لله ولرسوله،
والتفت إلى عبد الله وكان أكبر من عثمان وجعفر وقال: تقدم يا أخي حتى أراك
قتيلاً وأحتسبك،
فقاتلوا بين يدي أبي الفضل حتى قتلوا بأجمعهم.

استشهاد العباس (ع)

ولم يستطع العباس صبراً على البقاء بعد أن فنى صحبه وأهل بيته فجاء إلى
الحسين وقال:

قد ضاق صدري من هؤلاء المنافقين وأريد أن أخذ ثأري منهم، فأمره
الحسين (ع) أن يطلب الماء للأطفال، فذهب العباس إلى القوم وعظهم وحذرهم
غضب الجبار فلم ينفع! فنادى بصوت عال:

يا عمر بن سعد: هذا الحسين ابن بنت رسول الله قد قتلتم أصحابه وأهل بيته
وهؤلاء عياله وأولاده عطاشى، فاسقوهم من الماء، قد أحرق الظالم قلوبهم
فأثر كلامه في نفوس القوم حتى بكى بعضهم، ولكن الشر صاح بأعلى
صوته: يا بن أبي تراب لو كان وجه الأرض كله ماء وهو تحت أيدينا لما سقيناكم منه
قطرة إلا أن تدخلوا في بيعة يزيد!

فرجع إلى أخيه يخبره فسمع الأطفال يتصارخون من العطش.

ثم انه ركب جواده وأخذ القربة فأحاط به أربعة آلاف ورموه بالنبال فلم
ترعه كثرتهم وأخذ يطرد أولئك الاعداء وحده ولواء الحمد يرف على رأسه فلم تثبت
له الرجال، ونزل إلى الفرات مطمئناً غير مبال بذلك الجمع.

ولما اغترف من الماء ليشرب تذكر عطش الحسين ومن معه فرمى الماء وقال:
يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسين وارد المنون و تشربين بارد المعين
تالله ما هذا فعال ديني

ثم ملأ القربة وركب جواده وتوجه نحو الخيم فقطع عليه الطريق وجعل يضرب
حتى أكثر القتل فيهم وكشفهم عن الطريق وهو يقول:

لا ارهب الموت إذا الموت زقا حتى أوارى في المصاليق لقي
نفسي لسبط المصطفى الطهروقي إني أنا العباس أغدوا بالسقا
ولا أخاف الشـر يوم المـلـتـقـي
فكن له زيد بن الوقاد. الجهني من وراء نخلة وعاونه حكيم بن الطفيل فضربه على
يمينه فبرأها فقال عليه السلام:

والله إن قطعت يميني إني أحامي ابداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الامين

فلم يعبأ بيمينه، حيث ان همه كان إيصال الماء الى اطفال الحسين وعياله،
ولكن حكيم بن الطفيل كمن له وراء نخلة، فلما مر به ضربه على شماله فقطعها
وتكاثروا عليه! وأتته السهام كالمنطر فأصاب القربة سهم وأريق ماؤها وسهم أصاب
صدره وضربه رجل بالعمود على رأسه فقلق هامته!

وسقط على الارض ينادي:

«عليك مني السلام ابا عبدالله.

فاتاه الحسين، فرآه مقطوع اليمين، والشمال، فانحنى عليه وبكى بكاءً عالياً
وقال-ع- الآن انكسر ظهري، وقلت حيلتي.

ورجع الحسين الى الخيم منكسراً حزيناً باكياً يكفكف دموعه بكه وقد تدافعت
الرجال على مخيمه فنأدى:

أما من مغيث يغيثنا؟ أما من مجير «يحيرنا؟ أما من طالب حق ينصرنا، إنا من

خائف من النار فيذب عنا!
فأنته سكينه وسألته عن عمها، فاخبرها بقتله! وسمعتة زينب فصاحت: وا أخاه
وا عباساه واضيعتنا بعدك! وبكت النسوة وبكى الحسين معهن ،

الحسين في الميدان

ولما قتل العباس التفت الحسين(ع) فلم ير احداً ينصره ونظر إلى اهله وصحبه
مجزرين كالأضاحى وهو إذ ذاك يسمع عويل الايامى وصراخ الأطفال فصاح بأعلى
صوته:

«هل من ذاب عن حرم رسول الله؟ هل من موحد يخاف الله فينا؟ هل من
مغيث يرجو الله في اغاثتنا؟

ثم انه عليه السلام أمر عياله بالسكوت، وودعهم وكانت عليه جبة خزد كناء
وعمامة مودة ارخى لها ذوابتين والتحف ببردة رسول الله صلى الله عليه وآله وتقلد
بسيفه.

وطلب ثوباً لا يرغب فيه أحد يضعه تحت ثيابه، لئلا يجرد منه فانه مقتول
مسلوب، فأتوه بتيان فلم يرغب فيه لانه من لباس الذلة واخذ ثوباً خلقاً ولبسه تحت
ثيابه.

استعداد الرضيع

ودعا بولده الرضيع يودعه، فأنته زينب بابنه عبد الله، وامه الرباب فأجلسه في حجره يقبله ويقول

«بعداً هؤلاء القوم اذا كان جدك المصطفى خصمهم.

ثم أتى به نحو القوم يطلب له الماء، فرماه حرمة بن كاهل الأسدي بسهم فذبحه، فتلقى الحسين الدم بكفه ورمى به نحو السماء.

وقال: هوّن ما نزل بي انه بعين الله تعالى اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل، إلهي إن كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو خير منه وانتقم لنا من الظالمين، واجعل ما حل بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل، اللهم انت الشاهد على قوم قتلوا أشبه الناس برسولك محمد صلى الله عليه وآله ثم نزل عليه السلام عن فرسه وحفر له قبراً بجفن سيفه ودفنه مرملاً بدمه وصلى عليه.

وتقدم الحسين (ع) نحو القوم مصلاً سيفه آيساً من الحياة ودعا الناس الى البراز فلم يزل يقتل كل من برز اليه حتى قتل جمعاً كثيراً، ثم حل على الميمنة وهو يقول:

الموت أولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النار
وحمل على الميسرة وهو يقول:

أنا الحسين بن علي أليت أن لا انثنى
أحمي عيالات أبي أمضي على دين النبي
قال عبد الله بن عمار بن يغوث: ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده واهل بيته
وصحبه اربط جأشاً منه ولا امضى جناحاً ولا اجراً مقدماً ولقد كانت الرجال

تنكشف بين يديه إذا شد فيها ولم يثبت له احد.

قصاح عمر بن سعد بالجمع: هذا ابن الانزع البطين، هذا ابن قتال العرب احلوا عليه من كل جانب، قاتته اربعة آلاف نبلة وحال الرجال بينه وبين رحله فصاح
٣٣:

«يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا
احراراً في دنياكم وارجعوا الى احسابكم ان كنتم عرباً كما تزعمون.»
فناداه شمر: ما تقول يا ابن فاطمة؟

قال: انا الذي اقاتلكم والنساء ليس عليهن جناح فامنعوا عتاتكم عن التعرض
لحرمي مادمت حياً.

فقال الشمر: لك ذلك.

وقصده القوم واشتد القتال وقد اشتد به العطش، فحمل من نحو الفرات على
عمرو بن الحجاج وكان في اربعة آلاف فكشفهم عن الماء واقحم الفرس الماء ولما سد
يده ليشرب ناداه رجل اتلذذ بالماء وقد هتكت حرملك؟

فرمى الماء ولم يشرب وقصد الخيمة.

ثم اخرج السهم من قفاه فوضع يده تحت الجرح فلما امتلأت رمى به نحو السماء
وقال:

«هوّن علي ما نزل بي انه بعين الله! ثم وضعها ثانياً فلما امتلأت لطح به رأسه
ووجهه ولحيته وقال:

«هكذا اكون حتى ألقى الله وجدي رسول الله (ص) وانا مخضب بدمي واقول: يا
جدي قتلتني فلان وفلان.

استهاد عبد الله بن الحسن

ثم انهم لبثوا هنيئة وعادوا الى الحسين واحاطوا به وهو صريع على الأرض لا يستطيع النهوض، فنظر عبدالله بن الحسن وله احدى عشرة سنة الى عمه وقد أحدق به القوم فأقبل يشتد نحو عمه وأرادت زينب حبسه فأقلت منها، وجاء الى عمه وأهوى بحر بن كعب بالسيف ليضرب الحسين فصاح الغلام:

«يا ابن الخبيثة أنضرب عمي؟ فضربه واثقاها الغلام بيده فأطنها الى الجلد فاذا هي معلقة فصاح الغلام: يا عماه! ووقع في حجر الحسين، فضمه اليه وقال:

«يا ابن اخي اصبر على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير فان الله تعالى يلحقك بآبائك الصالحين

وزفع يديه قائلاً: اللهم ان متعتهم الى حين ففرقهم تفريقاً واجعلهم طرائق قدداً ولا ترض الولاة عنهم ابداً فانهم دعونا لينصر وناثم عدوا علينا يقاتلوننا.

ورمى الغلام حرملة بن كاهل بسهم فذبجه وهو في حجر عمه ... وامه واقفة بباب الخيمة تنظر اليه وهي مدهوشة.

الحسين صريحا

وبقى الحسين مطروحا مليا ولو شأؤوا ان يقتلوه لفعلوا... الا ان كل قبيلة تتكل على غيرها في قتله وتكره الاقدام.

فتقدم اليه زرعة بن شريك فضربه على كتفه الأيسر ورماه الحصين في حلقة، وضربه آخر على عاتقه وطعنه سنان بن انس في ترقوته ثم في بواني صدره، ثم رماه بسهم في نحره، وطعنه صالح بن وهب في جنبه.

قال هلال بن نافع:

«كنت واقفاً نحو الحسين وهو يجود بنفسه، فوالله ما رأيت قتيلاً قط مضمخاً بدمه احسن منه وجهاً ولا انورا! ولقد شغلني نور وجهه عن الفكرة في قتله! فاستقي في هذه الحال ماء فأبوا ان يسقوه!

وقال له رجل:

«لا تذوق الماء حتى ترد الحامية فتشرب من حميمها!

فقال عليه السلام:

«انا لا ارد الحامية وانما ارد على جدي رسول الله واسكن معه في داره في مقعد صدق عند مليك مقتدر واشكو اليه ما ارتكبتم مني وفعلتم بي.

الحسين يشكو الى الله!

ولما اشتد به الحال رفع طرفه إلى السماء وقال:

«اللهم متعال المكان عظيم الجبروت شديد المحال غني عن الخلايق عريض الكبرياء قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابع النعمة، حسن البلاء. قريب اذا دعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة، لمن تاب اليك، قادر على ما اردت، تدرك ما طلبت شكور إذا شكرت، ذكور إذا ذكرت، ادعوك محتاجا وارغب اليك فقيراً! وافزع اليك خائفاً وابكي مكروباً، واستعين بك ضعيفاً واتوكل

عليك كافياً اللهم احكم بيننا وبين قومنا فانهم غرونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا ونحن عترة نبيك وولد حبيبك محمد(ص) الذي اصطفيته بالرسالة واثمنتته على الوحي، فاجعل لنا من امرنا فرجاً ومخرجاً يا ارحم الراحمين.

«صبراً على قضائك يا رب لا إله سواك يا غياث المستغيثين، مالي رب سواك ولا معبود غيرك صبراً على حكمك يا غياث من لا غياث له يا دائماً لانفاذ له، يا محيي الموتي، يا قائماً على كل نفس، بما كسبت احكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين.

ونادت أم كلثوم وزينب العقيلة

«وامحمداه والبتاه وأعلياه واجعفراه واحزناه هذا حسين بالعراء صريع بكر بلا ثم نادت زينب: ليت السماء أطبقت على الأرض وليت الجبال تدكدكت على السهل!! وانتهت نحو الحسين وقد دنا منه عمر بن سعد في جماعة من أصحابه، والحسين يهود بنفسه! فصاحت:

«أي عمر أقتل ابوعبدالله وأنت تنظر اليه؟!

فصرف بوجهه عنها ودموعه تسيل على لحيته.

فقالت: ويحكم اما فيكم مسلم؟ فلم يجيبها احد!

ثم صاح ابن سعد بالناس: انزلوا اليه وأرحموه فبدر اليه شمر فرفسه برجله وجلس على صدره وقبض صلى شيبته المقدسة وضربه بالسيف اثنتي عشرة ضربة واحترأ رأسه المقدس!!

استلاب جسد الحسين!

وأقبل القوم على سلبه، فأخذ اسحاق ابن حوية قيضه، واخذ الأخنس ابن مرثد بن علقمة الحضرمي عمامته، واخذ الأسود بن خالد نعليه واخذ سيفه رجل من بني نعيم اسمه الأسود بن حنظلة.

وجاء بجذل فرأى الخاتم في اصبعه والدماء عليه فقطع اصبعه واخذ الخاتم واخذ قيس بن الأثبع قطيفته واخذ ثوبه الخلق جعونة بن حوية الحضرمي واخذ القوس والحلل الرحيل بن خيشمة الجعفي وهاني بن شبيب الحضرمي وجرير بن مسعود الحضرمي.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٧	مقدمة
القسم الأول : دروس عاشوراء	
١١	الفصل الأول : الامام الحسين ولادة جديدة للأمة
٢٣	الفصل الثاني : الامام الحسين وارث هابيل
٣٥	الفصل الثالث : الظروف الموضوعية لثورة الامام الحسين
٤٧	الفصل الرابع : مواقف الناس تجاه ثورة الامام الحسين
٦٥	الفصل الخامس : الامام الحسين منهج ثوري متكامل
٧٩	الفصل السادس : المواقف البطولية في ثورة الامام الحسين
القسم الثاني : سيرة عاشوراء	
١٠٩	الفصل الأول : البدايات
١٣١	الفصل الثاني : الحسين يخرج الى كربلاء
١٥٧	الفصل الثالث : يوم عاشوراء الاستعداد للمواجهة

مطابع يوسف بيضون
ماتف ٨٣٠٩٤٠ - بيروت - لبنان